

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية



العلاقات الصفرية الإباضية في بلاد المغرب الإسلامي

بين القرنين 2-4هـ / 8-10م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط والحديث

الأستاذ المشرف

أ. غرائسة عمار

الطالبة:

كريمة عازب عبد الله

الرقم	الأستاذ	الصفة	الجامعة
01	البشير غانية	رئيسا	جامعة حمه لخضر الوادي
02	عمار غرائسة	مشرفا ومقررا	جامعة حمه لخضر الوادي
03	علال بن عمر	مناقشا	جامعة حمه لخضر الوادي

السنة الجامعية 1437-1438هـ / 2016-2017م

سورة التوبة

شكر وعرفان

من لا يشكر الناس حق شكرهم لا يشكر الله عز وجل، ومن لا يعطي الناس حق قدرهم لا يمكن له معرفة قدره.

أتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى **زوجي الكريم عبد الرؤوف** الذي قدم لي الدعم بشتى أشكاله، وشجعني على السير في هذا الدرب الدراسي وإنجاز المذكرة حتى التمام.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف على ما قدمه لي من مساعدات وتوجيهات ومتابعة، وتصحيح، لإخراجه بهذا الشكل الأكاديمي المحترم، وأتوجه بالشكر كذلك إلى أعضاء اللجنة المناقشة على قبلوهم قراءة مذكرتي وتقييمها، وإفادتي بما سيلاحظونه وينقدونه لتحسين هذا العمل.

والشكر موصول أيضا لكل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد وأخص بالذكر صديقتي العزيزة خولة عمارة، وزميلتي حليلة لطوفه، وأختي شفاء، راجية من الله أن يجزل الجميع من أجره وثوابه الكريم.

خطة البحث

شكر و عرفان

خطة البحث

قائمة المختصرات

مقدمة

الفصل التمهيدي: الصفرية والإباضية مذهباً ودولة

المبحث الأول: التعريف بالمذهب الصفري و الإباضي

المطلب 1: التعريف بالمذهب الصفري

المطلب 2: التعريف بالمذهب الإباضي

المبحث الثاني: التعريف بالدولتين المدراية و الرستمية

المطلب 1: التعريف بالدولة المدراية

المطلب 2: التعريف بالدولة الرستمية

الفصل الأول: علاقات المذهبين زمن فترة الدعوة

المبحث الأول: دخول المذهبين معاً بلاد المغرب والاسباب المشتركة لذلك

المطلب 1: الأسباب المشتركة لتوجه الخوارج لبلاد المغرب

المطلب 2: دخول المذهبين بلاد المغرب معاً وانتشارهما

المبحث الثاني: الصفرية – الإباضية توافق وتعارض

المطلب 1: نظرة الإباضية للصفرية

المطلب 2: الصراع الإباضي – الصفري في القيروان

المطلب 3: التقارب الإباضي – الصفري

الفصل الثاني: علاقات الدولتين الصفرية والإباضية

المبحث الأول: العلاقات السياسية

المطلب 1: مواقف سياسية بين تاهرت وسجلماسة

المطلب 2: الزواج السياسي بين العاصمتين أسبابه وتداعياته

المبحث الثاني: العلاقات التجارية والاقتصادية

المطلب 1: الطرق الرابطة بين العاصمتين الصفرية والإباضية

المطلب 2: المنتجات والحركة التجارية

المبحث الثالث: علاقات اجتماعية وثقافية ودينية

المطلب 1: تأثير علاقتهما على الوضع الاجتماعي

المطلب 2: علاقات ثقافية

المطلب 3: العوامل المتحكمة في العلاقة بينهما

خاتمة

ملاحق

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

قائمة المختصرات

تح: تحقيق

تع: تعليق

تق: تقديم

دط: دون رقم الطبعة

د م ن: دون مكان النشر

د س ن: دون سنة النشر

تر: ترجمة

ط: طبعة

ج: جزء

جم: جمع

مر: مراجعة

در: دراسة

هـ: هجري

م: ميلادي

ت: توفي

ص: صفحة

مثلت بلاد المغرب أواخر القرن الأول الهجري وإبان النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ملاذاً ومنتفسا خصباً لحركة الخوارج الممتدة من المشرق نحو المغرب، بسبب ما لاقوه هناك من ملاحقات وإفشالٍ لجلِّ محاولاتٍ للخروج على الخلافة الأموية، وإبطال مساعيهم لنشر فكرهم ومعتقداتهم هناك، وبعد المذهبين الإباضي والصفري، أول الواصلين لأرض المغرب حاملين معهم مشروعاً دعويًا وسياسيًا، ومتأملين تحقيق مساعيهم المذهبية، وهي إقناع البربر بدعوتهم وغرسها هناك، ومحاولة إنشاء كيانات سياسية تقويهم وتساعدهم على تثبيت سلطانهم بالمنطقة، وفعلاً نجحوا في تحقيق ذلك إلى مدى كبير، على الصعيد المذهبي، وعلى الصعيد السياسي، إذ نجحوا في تكوين العديد من الكيانات التي تحمل رايتهما لكنها لم تستمر طويلاً، لتتوج جهودهم فيما بعد بقيام دولتين هامتين بالمغرب ألا وهما الدولة المدراية الصفرية، والدولة الرستمية الإباضية، وفي خضم هذا التواتر التاريخي لمسيرة المذهبين بالمغرب، تفاعل المذهبان والدولتان وتواصلتا، ونسجت بينهما علاقات في العديد من الأصعدة حتى أفلا أواخر القرن 4هـ/10م.

وأنا من خلال اختياري لموضوع الدراسة الموسوم بـ "العلاقات الصفرية الإباضية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين، 2-4هـ / 8-10م"، سأحاول ولو بشكل متواضع وبسيط إعطاء صورة وافية عن هاته العلاقات المتميزة التي نشأت بين مذهبين خارجيين في بلاد المغرب، وتبيان أهميتها في صنع الحدث التاريخي في تلك الفترة الزمنية، مع العلم أن الفترة المحددة هي الإطار الزمني منذ دخول المذهبين المنطقة حتى انحسارهما. أما عن دوافع اختياري لهذا الموضوع، التي منها ما هو موضوعي ومنها ما هو ذاتي، فأذكر منها:

- عدم وجود دراسات أكاديمية تُعنى بهذا الموضوع ذي الأهمية الكبيرة التي تساعدنا في فهم أسباب احتضان البربر للفكر الخارجي في زمن ماضٍ، كون المنطقة الآن تعتبر سنوية مالكية بامتياز.

- الإطلاع على التأثير المذهبي والسياسي الكبير الذي تسبب به المذهبان ببلاد المغرب آنذاك.

- الرغبة في التعمق أكثر في تاريخ المغرب الإسلامي، لتغطية جزء من الجوانب التي لم يسلط عليها الضوء بالدراسة والبحث، وذلك نابع من كوني من بنات المنطقة وطالبة تاريخ ودراسة فيه، وبينتاني الفضول حول تاريخنا خاصة الإسلامي منه، لأنه تعرض للطمس والتغيب.

- وأخيرا تشجيع المشرف على دراستي، لاختيار هذا الموضوع، وذلك لا يخلو من نظرة علمية تاريخية تجعلني أستند على رأيه.

ولفهم الموضوع ومعالجته معالجة موضوعية، طرحت الإشكال الرئيس التالي:

كيف كانت علاقات المذهبيين، في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين 2 و 4هـ / 8 و 10م، قبل وبعد نشوء الدولتين الرستمية والمدرارية؟

اندرجت تحته تساؤلات فرعية أخرى، هي:

* ماهية الدولتين الدرارية و الرستمية؟ وماهية مذهبهما الصفري و الإباضي؟

* كيف دخل المذهبيين مترافقين بلاد المغرب؟

* فيما تمثل التقارب الإباضي الصفري؟ وأين يكمن الاختلاف والتصارع بينهما؟

* فيما تجلت علاقاتهما السياسية بعد تكوين دولتيهما؟ وبما تميزت علاقتهما الاقتصادية؟

* ما مدى تأثير كل ذلك على واقعها الاجتماعي وما أهم ملامح التواصل الفكري والثقافي وأهم العوامل المتحكمة في ذلك؟

وللإجابة على هاته الإشكالية وفروعها، ضمن الدراسة، اتبعت المنهج التاريخي الذي جمع بين الوصف والاستقراء والاستنتاج، معتمدة على وصف الأحداث واستنباط ما أبحث عنه.

وفيما يخص تقسيمات الموضوع لتسهيل ترتيب ووضع المعلومات لتخرج في إطار أكاديمي وعلمي محترم ومنظم، فقد جزأت الموضوع إلى مقدمة وخاتمة وثلاث فصول، باكورتهم الفصل التمهيدي الذي عنوانته بالصفريّة و الإباضية مذهباً ودولة، اندرج تحته مبحثان: الأول بعنوان التعريف بالمذهب الصفري و الإباضي، والثاني بعنوان: التعريف بالدولتين المدراية والرستمية.

أما الفصل الأول، فقد وضعته تحت عنوان: علاقات المذهبين زمن فترة الدعوة، اندرج تحته مبحثين، الأول بعنوان دخول المذهبين معا لبلاد المغرب والأسباب المشتركة لذلك، تفرع عنه مطلبين، وهما: الأسباب المشتركة لتوجه الخوارج بلاد المغرب، و دخول المذهبين لبلاد المغرب معا وانتشارها، أما المبحث الثاني فقد كان تحت عنوان: الصفريّة- الإباضية، توافق وتعارض، تفرعت عنه ثلاثة مطالب، أولها بعنوان: نظرة الإباضية للصفريّة، وثانيهما بعنوان: الصراع الإباضي الصفري بالقيروان، وثالثهما بعنوان: التقارب الإباضي- الصفري.

أما عن الفصل الثاني، فقد عنوانته بعلاقات الدولتين الصفريّة و الإباضية، اندرجت تحته ثلاث مباحث، الأول بعنوان: العلاقات السياسية، انطوى ضمنه مطلبين، الأول بعنوان: مواقف سياسية بين تاهرت وسجلماسة، والثاني بعنوان: الزواج السياسي بين العاصمتين

أسبابه وتداعياته، أما المبحث الثاني فقد كان بعنوان: العلاقات التجارية و الاقتصادية،
اندرج تحته مطلبين، أولهما بعنوان: الطرق الرابطة بين العاصمتين الصفرية و الإباضية،
وثانيهما بعنوان: المنتجات والحركة التجارية، أما المبحث الثالث فقد أتى تحت عنوان:
علاقات اجتماعية وثقافية ودينية، اندرجت ضمنه ثلاثة مطالب: الأول بعنوان: تأثير
علاقتهم على الوضع الاجتماعي، والثاني بعنوان: علاقات ثقافية ودينية، والثالث بعنوان:
العوامل المتحكمة في العلاقة بينهما.
وفي الأخير، وضعت خاتمة بها نقاط ملخصة ومستنتجة.

أما عن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، في بناء هذا الموضوع فهي:
المصادر:

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، لعبد القاهر محمد البغدادي، الذي يعطي
شرحاً مهماً لمعتقدات المذهبيين، لكنه يقتصر في تاريخها ، وهو أمر مهم في تلك الفترة
لفهم المذهب أكثر، وكذلك، السير للشماخي، و طبقات المشائخ بالمغرب للدرجيني، و
أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير؛ و الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ،
لعبد الله الباروني، الذين أخذت منهم جل سير أعلام الإباضية لاستنباط العلاقات
المذهبية وحتى السياسية من خلال السير، لكن ما يؤخذ عليهم عدم الانضباط بذكر كامل
السيرة للعلم وقد يغيبون تواريخ مهمة، والانحياز الواضح للمذهب، فهم مؤلفون إباضيو
المذهب ويظهر انحيازهم في مؤلفاتهم، وكذلك اعتمدت على العبر وديوان المبتدأ والخبر
في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لعبد الرحمن بن
خلدون، الذي أخذت منه سير أحداث سياسية في تاريخ الدولتين فهو كتاب لا غنى عنه
لكل من يدرس إحدى دول المغرب وغيرها، وأوصاف ساعدتني في استنتاج علاقات
مذهبية بين الدولتين، إلا أنه أهمل الجانب الاقتصادي والثقافي، وكذلك استعملت كتاب

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، لأبو عبيدة البكري، وهو كتاب مهم جدا في الجانب الجغرافي والاقتصادي، وغيرها من المصادر التي تفاوتت أهميتها للموضوع.

المراجع:

الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري ، لمحمود إسماعيل عبد الرزاق، الذي يتتبع فيه تاريخ الخوارج في بلاد المغرب حتى الوجود الفاطمي بالمنطقة ، ويعتبر أهم مرجع في ذلك ، والدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقته الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ - 296 هـ) لمحمد عيسى الحريري، والعلاقات الخارجية للدولة الرستمية لجودت عبد الكريم يوسف، والدولة الرستمية (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية) لإبراهيم بحاز، وتاريخ المغرب الكبير، لمحمد علي دبوز.

أما عن الصعوبات التي واجهتني فهي الندرة الشديدة أو عدم وجود الكتب التي تهتم بالعلاقات بين المذاهب خاصة الصفرية، الذي يكاد ينعدم وجود تفصيل لوجوده الديني مقارنة بالمذاهب الأخرى بالمنطقة، ناهيك عن الجانب الاقتصادي والاجتماعي والديني والثقافي للدولة الصفرية، وإن وجدت بعض المعلومات المقتضبة التي تداولتها المصادر والمراجع المختلفة، والتي لم تقف بصورة جلية ومفصلة عنها، ولعل ما وقع هو الذي فرض علينا ذلك، فإحراق الشيعة لأهم مكاتب الخوارج وعلى رأسها المعصومة، حرمانا من كنوز معرفية كانت ستعطينا شروحا وافية لدولتي الخوارج وتزيل الغموض عنها. وكذلك أعتبر غلبة الكم المعلوماتي حول الرستميين وحضارتهم ومذاهبهم، نظير جيرانهم المدرارية الصفرية، يصعب الطرح المتوازن، فتجد نفسك منجرفا من جانب لجانب، محاولا الموازنة في سردك للموضوع حتى لا يطغى، ويظهر كأنه هو المتحكم في العلاقة.

وفي الأخير أرجو من الله أن أكون موفقة في إيصال الموضوع للقارئ في حلة بهية،
موضوعية ومفيدة، شاكرة كل من قدم لي يد المساعدة من قريب وبعيد، والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: التعريف بالمذهب الصفري و الإباضي

المطلب 1 : التعريف بالمذهب الصفري

هو مذهب من المذاهب الخارجية التي انتشرت ببلاد المغرب الإسلامي ويرجع أصل تسمية الصفريّة إلى زياد بن الأصفر ، وهذا القول اتفق عليه جل المؤرخين¹ ، غير أن هناك من يرجعهم إلى عبد الله بن صفار² ، والبعض الآخر يذهب إلى أن هناك رواية ترجع أصل تسميتهم إلى صفرة وجوههم من كثرة العبادة أو إنهم خرجوا من الدين صفراً كما ذهب قلة إلى اتصال نسبهم بالملهب بن أبي صفرة³.

ويذكر الرواة ظهورها بالبصرة متزامناً مع ظهور الإباضية بعد مقتل جابر بن زيد⁴ ، واختلاف الخوارج حول حكم القعدة⁵ ، وهو أكثر التيارات غموضاً ، ويستدعي التعرف عليه

¹ - أبو الحسن الأشعري؛ مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، محمد محي الدين عبد الحميد، ط 1، ج 1، المكتبة العصرية، بيروت، 1411 هـ / 1990 م، ص 182. وأنظر؛ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تح أمير علي مهنا وعلي مجن فاعور، ط 3، ج 1، دار المعرفة، بيروت، 1414 هـ / 1993 م، ص 159. وأنظر؛ عبد القاهر محمد البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تح محمد عثمان الخشت، دط، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د س ن، ص 84، وأنظر؛ عبد المنعم الحنفي؛ موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط 1، دار الرشاد، القاهرة، 1413 هـ / 1993 م، ص 277.

² - هو عبد الله بن صفار الصريمي التميمي {ت 60هـ، 680م}، رئيس الصفريّة من الخوارج، نسبوا إليه على غير قياس، وفي صحة رئاسته لهم إختلاف كبير. أنظر: خير الدين الزركلي؛ الأعلام، ط 15، ج 3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002، ص 93.

³ - يوليوس فيلهوزن؛ أحزاب المعارضه السياسية والدينية في صدر الإسلام {الخوارج والشيعه} ، تر، عبد الرحمن بدوي، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958 م، ص 72. وأنظر، محمود إسماعيل عبد الرزاق؛ الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، ط 2، دار الثقافة، المغرب، 1985 م، ص - ص 31-32.

⁴ - هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، {ت 93هـ، 712م}، من تلاميذ ابو العباس رضي الله عنه، محدث وفقهه، روى عن السيدة عائشة رض الله عنها وغيرها من الصحابة، استقر بالبصرة ومن أصدقاء الحسن البصري المقريين. أنظر، أبو العباس احمد بن أبي عثمان سعيد الشماخي؛ السير، در وتح، محمد حسن، ط 1، ج 1، دار المدار الإسلامي، 2009، ص - ص 182-189. وأنظر، أبو العباس احمد بن سعيد الدرجيني؛ طبقات المشائخ بالمغرب، ط 1، ج 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009، ص 205.

⁵ - القعدة، وهم الذين قعدوا أو توقفوا عن نصره أي من الفرق المتحاربة والمقصود به أعلاه الخوارج الذين يمتنعون عن مناصرة المحاربين من الخوارج وإن كانوا يؤيدونهم في الرأي. أنظر؛ البغدادي؛ المصدر السابق، ص 78.

المتبع الدقيق للروايات في تلك المرحلة، ويتفق الرواة في شأن ظهورهم على أنهم مجموعة من

القعدة رفضت أحكام عبد الله بن إباض¹ كما سبق لها أن رفضت أحكام نافع بن الأزرق² وان ابن صفار هو الذي عبر عن موقف هاته المجموعة بتبرئه من ابن إباض لأنه قصر ومن ابن الأزرق لأنه غلا، لكن المتمعن في الروايات يلاحظ اسم الصفريّة يطلق غالباً على تلك المجموعة من القعدة وان التسمية نابعة من إحدى صفات الخوارج وهي صفرة وجوههم لأن الزعماء الذين نسبت إليهم الفرقة يكتنفهم الغموض الكلي وعدم وجود معلومات تثبت انتمائهم إلى الفرقة في تلك الفترة³.

أما عن أهم مبادئ الصفريّة فنذكر منها:

- من ارتكب من الأعمال ما عليه حد واقع لا يسمى صاحبه إلا باسم الموضوع،

مثال ذلك: الزاني، السارق، والقاذف والقاتل ولا يقولون صاحب هذه الأفعال

¹ - هو عبد الله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم، يرجع نسبه الى إباض وهي قرية العارض باليمامة من قرى بني حنيفة، تابعي عاصر معاوية بن أبي سفيان، فقيه وإمام في التفسير والحديث، ومن أخص تلاميذ ابن العباس، وممن روى الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعدد كبير من الصحابة، نسب المذهب الإباضي إليه نسبة عرضية، بسبب موافقه الكلامية و السياسية، ولم يستعمل الإباضية في تاريخهم المبكر هذه التسمية بل كانوا يتسمون بأهل الدعوة أو جماعة المسلمين أو أهل الاستقامة، حتى أواخر القرن 3هـ، توفي 708هـ. أنظر الشماخي؛ المصدر السابق، ج1، 189. وأنظر، الدرجيني؛ المصدر السابق، ج 2، ص 214. وأنظر، محمد بن عبد الله المنعم الحموي، الروض المعطار في إخبار الأقطار؛ تح إحسان عباس، ط 1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص22. وأنظر، مؤلف مجهول؛ الإستبصار في عجائب الأمصار و وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب؛ تح سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة للنشر، بغداد، د س ن، ص176. وأنظر أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي؛ جمهرة انساب العرب، تح وتع عبد السلام محمد هارون، ط 5، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص 218. وأنظر، مانع بن حماد الجهني؛ الموسوعة الميسرة في الأحزاب والمذاهب والأديان المعاصرة، ط4، ج 4، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، د ب ن، 1420هـ، ص58.

² - هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائل (ت 65هـ/685م)، كان أمير قومه وفقههم بالبصرة، صاحب في أول أمره ابن العباس، وكان له أصحاب من أنصار الثورة على عثمان وتولية علي رضي الله عنهما، إلى ان كانت قضية التحكيم بن علي ومعاوية وخرجوا على علي رض الله عنه، انظر، البغدادي؛ المصدر السابق، ص78.

³ - لطيفة بكاي؛ حركة الخوارج نشأتها وتطورها الى نهاية العهد الأموي (37 م - 132 هـ)، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص 122-124.

- مشركاً أو كافراً وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر وإن المؤمن المذنب يفقد اسم الإيمان في الوجهين جميعاً¹.
- وقالت طائفة منهم بوجوب قتل كل من حق قتله مؤمناً كان أو كافراً ويؤولون الحق بالباطل وقد بادت هذه الطائفة².
- عندهم من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله بلسانه ولم يعتقد ذلك بقلبه بل اعتقد الكفر و الدهرية أو اليهودية أو النصرانية فهو مسلم عند الله مؤمن و لا يضره إذ قال الحق بلسانه ما اعتقد بقلبه³.
- لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين على قول أهل الاستقامة ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وعندهم التقية بالقول دون الفعل⁴.
- أصحاب الذنوب مشركون ولا يجوز قتل أولادهم وبناتهم ونسائهم و الأعمال التي بها حد يسمى صاحبها باسمها ، وكل ذنب ليس فيه حد فهو كفر كترك الصلاة والصوم⁵.
- لديهم يجوز تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية .
- الشرك شركان طاعة الشيطان أو عبادة الأوثان ، والكفر كفران كفر بإنكار النعمة وكفر بإنكار الربوبية والبراءة براءتان براءة من أهل الحدود سنة وبراءة من أهل الجحود فريضة⁶.

¹ - محمد إبراهيم الفيومي ؛ تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني (الخوارج والمرجئة) ، ط 1 ، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003، ص 183.

² - ابن حزم الظاهري؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تح محمد إبراهيم نصر و عبدالرحمن عميرة ، ط 2 ، ج 5، دار الجيل بيروت ، 1416 هـ/1996 م، ص 53.

³ - نفسه؛ ص، 54.

⁴ - سرحان بن سعيد الأزكوي؛ كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تح محمد حبيب صالح ومحمود بن مبارك السليمي، ط 2، ج 2، وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان، 1434 هـ/2013 م، ص-ص 289-290.

⁵ - البغدادي؛ المصدر السابق، ص-ص 84-85.

⁶ - الشهرستاني؛ المصدر السابق، ص-ص 159 - 160.

- لا يرون أن دار مخالفيهم دار حرب كما لم يحكموا بسبي الذرية والنساء¹.
- لم يسقطوا عقوبة الرجم².

المطلب 2 : التعريف بالمذهب الإباضي

تعرف الإباضية على أنها إحدى فرق الخوارج وتنسب إلى " عبد الله بن إباض "، وهو الذي خرج أيام مروان آخر خلفاء بني أمية³، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج وينفون عن أنفسهم هاتاه الصفه وهم يعتبرون "جابر بن زيد"⁴ المؤسس الحقيقي للمذهب إذ أنه كان الإمام الروحي وفتيه الإباضية ومفتيهم وكان بالفعل الشخص الذي بلور الفكر الإباضي بحيث أصبح متميزاً عن غيره من المذاهب بينما كان ابن إباض المسؤول عن الدعوة والدعاة في شتى الاقطار⁵.

وإن من أبرز المنظرين لهذا المذهب هم "جابر بن زيد" و" أبو عبيدة مسلمة ابن أبي كريمة " وهو من أشهر تلاميذ جابر بن زيد وأصبح مرجع الإباضية بعده مشتهراً بلقب

¹ - أحمد محمد جلي ؛ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) ، ط 1 ، شركة الطباعة العربية السعودية ، 1406 هـ / 1986 م ، ص 59-60.

² - مصطفى الشكعة؛ إسلام بلا مذاهب ، ط 11 ، الدار المصرية اللبنانية ، 1416 هـ / 1996 م ، ص 134.

³ - الشهرستاني؛ المصدر السابق، ج1، ص. 134 .

⁴ - هو أبو الشعثاء جابر بن زيد اليحمدي (22-93هـ)، محدث وفتيه وإمام في التفسير والحديث، من اخص تلاميذ ابن العباس، وممن روى الحديث عن أم المؤمنين عائشة وعدد كبير من الصحابة، ويعد من أوائل من اشتغل بالحديث، يرجع إليه بعض أتباعه المذهب الإباضي، عاصر زمن فتنة الصحابة، بعد وفاته تولى امر الغباضية أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة. الدرجيني؛ المصدر السابق، ج 2، 205، وانظر، الحافظ أبو نعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، 1416 هـ // 1996 م، ص 85. وانظر، مانع بن حماد الجهني؛ المرجع السابق، ص 58.

⁵ - عوض محمد خليفات ؛ الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط 3، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان، 1415 هـ.، 1994 م، ص 29.

القفاف و"الربيع بن حبيب الفراهيدي" الذي عاش في منتصف القرن 2هـ/6م، و ينسبون له مسندا خاصا به¹.

أما عن أئمتهم في المغرب نجد "الحارث بن تليد" و"أبو الخطاب بن السمح المعافوي" ثم "أبو حاتم يعقوب بن جليل الملزوزي"².

كانت الإباضية أولى التيارات التي ظهرت في البصرة لما خالف زعيمها عبد الله بن إباض و"نافع بن الأزرق"، وأحكامه بخصوص المخالفين للخوارج والقعدة وجواز قتلهم³.
أما عن أهم معتقدات و آراء الإباضية نذكر منها:

- مرتكب الكبيرة في النار، إن أصرّ عليها ولم يتب من وزرها وهو خالد فيها والصغائر مستثناة من الوعيد أما الكبائر فهي التي اوجب الله تعالى لها حد أو توعدها فاعلها بعذاب في الآخرة⁴ وجبت البراءة منهم⁵.

- كل كبيرة هي كفر نعمة لا كفر شرك⁶، وصاحب الكبيرة لديهم هو موحد لا مؤمن وقالوا أهل الكبائر ليسوا بالكفار الذين تحل دماؤهم و أموالهم ولكنهم كفار نعمة منافقون⁷.

- دار مخالفهم من غير المسلمين دار توحيد، إلا معسكر السلطان فانه دار بغى،

-

¹ -الشهرستاني المصدر السابق، ج1، ص 134 .

² - انظر حول ترجمات سيرهم، الشماخي؛ المصدر السابق، ج1، ص.ص 245 .258.

³ - لطيفة بكاي؛ المرجع السابق، ص 126 .

⁴ - مؤلف مجهول؛ السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، تح ونشر سيدة إسماعيل كاشف، دط، ج 2، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، 1406 هـ/1986 م ص 222.

⁵ - زكرياء بن خليفة المحرمي؛ الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ، دط، د د ن، د س ن، ص 48.

⁶ - أبو الحسن الأشعري؛ المصدر السابق، ص 189.

⁷ - ابو مظفر الاسفراييني؛ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، تح كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 177 .

- و أجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم¹ ، ويبيحون الزواج منهم وموارثتهم و أكل ذبيحتهم² .
- الصفات الإلهية هي عين ذات الله³ .
- عندهم الرؤية المستحيلة فهي تهدم التوحيد وأنكروها لتتزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة الخلق ولا تتحقق للإنسان أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة⁴ .
- مصادر التشريع عندهم هي القرآن والسنة والإجماع و القياس والاستدلال⁵ .
- عندهم النفاق في الأفعال دون الاعتقادات وبعضهم يقول: إن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله (ص) مشركون والنفاق بعد الرسول (ص) في فعل الكبيرة⁶ .
- شفاعة النبيء لا تكون لمن مات مصراً غير تائب إنما الشفاعة لمن مات على صغيرة أو مات وقد نسي ذنباً أن يتوب منه أو لزيادة درجة في الجنة.
- القرآن عند الإباضية مخلوق⁷ ، خاصة عند المغاربة، وهناك قسم منهم قال بغير ذلك⁸ .

¹ - الشهرستاني؛ المصدر السابق، ص 157 .

² - مصطفى الشكعة المرجع السابق ، ص 137 . و أنظر ابن حزم الظاهري؛ المصدر السابق، ج5 ، ص 273 .

³ - حسن صادق؛ جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى اغتيال السادات ، ط 1، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، م2004، ص 197.

⁴ - مصطفى الشكعة ، المرجع السابق ص 137.

⁵ - فطيمة مطهري؛ مدينة تيهرت الرستمية (دراسة تاريخية حضارية) القرن 2 - 3 هـ / 8-9 م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، اشراف معروف بلحاج، جامعة ابوبكر بلقايد تلمسان، قسم التاريخ والآثار 1431-1430 هـ / 2009-2010 م ، ص 224.

⁶ - أبو يعقوب يوسف إبراهيم الوجيهاني ؛ الدليل والبرهان، تحقيق سالم بن حمد الحارثي، ط 2، ج2، وزارة الثقافة والتراث، سلطنة عمان، 1428هـ/2006م، ص49.

⁷ - أبو يعقوب يوسف إبراهيم الوجيهاني ؛ العدل و الانصاف في معرفة أصول الفقه و الاختلاف ، دط ، ج 2، وزارة الثقافة والتراث القومي، سلطنة عمان، 1428هـ / 1984، ص 147.

⁸ - فطيمة مطهري ، المرجع السابق، ص 224 .

- لا يرون لزوم الإمامة في عنصر خاص¹، وهي عندهم أربعة أنواع: إمامة
- الظهور، إمامة الدفاع، إمامة الشراء، وإمامة الكتمان².
- ينفون التشبيه عن الله تعالى.
- أنهم يؤمنون بالقضاء والقدر أنه من الله تعالى وخلق منه وإن الخير والشر خلق من الله وكسب من العباد.
- هم يعتبرون الجوانب المادية والروحية متكاملة لذلك أنكروا اللصوق.
- الإيمان لديهم قول وتصديق وعمل ليس قول فقط وتصديقاً فقط دون عمل.
- إن النفاق منزلة من الشرك والإيمان ولا منزلة بين الإيمان والكفر.
- أي إنكار لمعلوم إنما هو شرك³.

¹ - محمد ابوزهرة؛ تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهيّة، دط، دار الفكر العربي القاهرة، د س ن، ص 78.

² - عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية (من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف بن اطفيش)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة الإسلامية، إشراف أبو عمران الشيخ، جامعة الجزائر، معهد الفلسفة، 1407 هـ/1987م، ص 197.

³ - فطيمة مطهري، المرجع السابق، ص-ص 224 - 225.

المبحث الثاني : التعريف بالدولتين المدراية والرستمية.

المطلب 1 : التعريف بالدولة المدراية

استطاع بنو اليسع بن مدرار (بربر مستعربة) في واحة تافيلات بالمغرب الأقصى إنشاء دولة بني مدرار¹ وه م خوارج صفرية، وكانوا السابقين إلى إنشاء دولتهم في سجلماسة² سنة 140 هـ/757 م، إذ استطاعوا أن يستفيدوا من اضطراب الأحوال في إفريقية وقيموا دولتهم على وادي ملوية³، ومكناسة⁴ هي العصبية القبلية التي ارتكزت عليها دولة بني مدرار⁵ وأسسوا حصناً في وسط المدينة أسموه العسكر، كما أسسوا المسجد الجامع ودار الإمارة ثم أقبل الناس على بناء دورهم حول الحصن فاتسع العمران حتى جاوزت المدينة فرعي نهر ملوية، ولما كانت سجلماسة محصورة بين فرعي نهر ملوية فقد توفرت لها المياه لهذا عمل عيسى بن يزيد على تنظيم الإفادة منها وهذا يعني

¹ - يوسف على بدوي، عصر الدويلات الإسلامية، ط 1، دار الأصالة، الجزائر 143 هـ/2010 م، ص 51.
² - تتواجد سجلماسة في مركز سهل تافيلالت الكبير تحيط بها الجبال وهي قريبة من سلسلة جبال الاطلس محاذية وادي زير الذي ينبع من الجبال التي تقطنها صنهاجة مارا بسجلماسة ويصب في بحيرة وسط الرمال، والحدود الجغرافية التي اوردها الجغرافيون تختلف، لكنهم إتفقوا على انها تقع جنوب المغرب الأقصى من طرف بلاد السودان بينها وبين غانه مسيرة شهرين وبينها وبين البحر الرومي خمسة عشر مرحلة. أنظر، مبارك بوطارن، تطور العمران الإسلامي مدينتا القيروان وسجلماسة نموذجا لدراسة تاريخية عمرانوية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورا دولة في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قرية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2006، ص 225. وأنظر، الحسن بن محمد الفاسي الوزان، وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الاخضر، ط 2، ج 2، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص- ص 254-255.

³ - هو نهر كبير مشهور في بلاد المغرب، به قرى كيرة عامرة ومتصلة، تسقى كلها من مائه. أنظر، أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، دطن ج 7، طبع في ليدن مطبعة بريل، 1897، ص 359. وأنظر، مؤلف مجهول، الإستبصار، المصدر السابق، ص 193.

⁴ - هي قبيلة بربرية برنسية من افخاذ زناته، تعود لورصطف بن يحيى، ولها بطون كثيرة منها: ورقطنة، بتورندوس، صولات، ...، وكانت مواطنهم على وادي ملوية. أنظر، عبد الرحمن بن خلدون؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، مر سهيل زكار، د ط، ج 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421 هـ/2000 م، ص 170. وأنظر؛ ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن غازي المكناسي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، دط، مطبعة الأمنية، الرباط، 1371 هـ/1952 م، ص 1.

⁵ - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 6، ص 171.

أن تأسيس سجلماسة ارتبط به تحول حياة السكان فيها من الرعي والبدو إلى حياة الزراعة والاستقرار ، ولا شك في أن هذا الازدهار الاقتصادي الذي واكب إنشاء سجلماسة ساعد على تدعيم دولة بني مدرار، وبعد وفاة عيسى بن يزيد تولى زمام الحكم أبو القاسم سمو بن واسول سنة (155هـ/772م) بعدما بايعه أهل مكناسة هذا الأخير الذي خطب في دعوته للخلافة العباسية وللخليفة المنصور وقد حكم حوالي 12 سنة،¹ وبعد وفاته تولى من بعده ابنه إلياس الملقب بابي الوزير ليتغير نظام الحكم في الدولة من حكم قائم على مبدأ الشورى إلى ملكي وراثي في أسرة أبي القاسم.²

دخلت الدولة فيما بعد مرحلة قوة وتطور عند تولي اليسع بن أبي القاسم الحكم (174-208هـ/790-823م)، وأصبحت في أزهى عصورها إذ كانت له العديد من الانجازات على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري³، ليتولى ابنه مدرار الحكم بعده (208-213هـ/823-828م)، الذي اشتهر بصراع ابنه على الحكم⁴، انتهى بتولي محمد بن ميمون الحكم ومن بعده اليسع بن مدرار (231-255هـ/844-869م)، حيث تميزت فترة حكمه بعودة الأمن الداخلي واهتمامه بالجانب العسكري، ثم ليكون التدخل الشيعي في البلاد وموت اليسع أهم سببين لدخول البلاد مرحلة ضعف وانحلال شديدين من نقشي المد الشيعي إلى الصراعات الداخلية، لتسقط الدولة سنة (366هـ/976م)⁵.

¹ - أبو عبيدة البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، د ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د س ن، ص - ص 149-150. وأنظر، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تح س، ج كولان وليفي بروفنسال، ط3، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص156.

² - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 6، ص 172. وأنظر، لسان الدين ابن الخطيب؛ تاريخ المغرب في العصر الوسيط، تح وتغ أحمد مختار العبادي ومحمد الكتاني، دط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص142.

³ - البكري، المصدر السابق، ص150.

⁴ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص172.

⁵ - البكري، المصدر السابق، ص 150. وأنظر، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد حماد الناصري الدرعي السلاوي، الإستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، دط، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ص105.

المطلب 2 : التعريف بالدولة الرستمية

تنسب إلى عبد الله بن رستم الفارسي الإباضي¹ والتي نشأت بالمغرب الأوسط²، إذ نشأ عبدالرحمن في القيروان وصادف هناك نشر الدعوة الإباضية في تلك الربوع فتعلق بها، وسافر إلى المشرق لتلقي المزيد من العلم على يد الإمام " أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة " إمام الإباضية ذلك الوقت³.

و بعد خمس سنوات عاد عبدالرحمن بن رستم مع أصحابه حملة العلم إلى المغرب وكان من ضمنهم أول إمام للإباضية بويج في المغرب وهو " أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليميني "⁴، وما إن وصل حملة العلم إلى المغرب هينوا الأجواء لإقامة دولتهم ، فلما سنحت لهم الفرصة بايعوا أبي الخطاب المعافري بالإمامة⁵ ، وبعد أربع سنوات من قيام دولة أبي الخطاب في الغرب وجه إليه جعفر المنصور الخليفة العباسي جيشاً استطاع القضاء على دولة أبي الخطاب في معركة عنيفة سنة 144هـ، قتل فيها أبو الخطاب، وحاول عبد الرحمان نجدة أبي الخطاب لكنه لم يتمكن من ذلك فاضطر للفرار إلى المغرب الأوسط حتى وصل إلى جبل "سوفجج " فتحصن به⁶، ولما أحس من نفسه القوة والقدرة على بناء دولته الجديدة خاصة بعد أن التف عليه الكثير من أنصاره من البربر ومن أهل العلم والصلاح ممن يثق بهم اتجه إلى مكان تكثر فيه الأشجار و

¹ - راجح بونار ؛ المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ط 3، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د س م، ص 27.

² - محمد صالح ناصر ؛ منهج الدعوة الإباضية، د ط، مكتبة الاستقامة، عمان 1997، ص 155. أنظر الملحق: رقم 1 خريطة ب، و الملحق رقم 2.

³ -بحاز و آخرون؛ معجم أعلام الإباضية، ط2، ج 2، دار الغرب الاسلامي، لبنان 2000، ص 246 .

⁴ - الشماخي؛ المصدر السابق، ج 2، ص 245.

⁵ -عوض خليفات؛ نشأة الحركة الإباضية، د ط، مطابع دار الشعب، الاردن عمان، 1978م، ص 108.

⁶ - نفسه، ص- ص 152-167. و أنظر، محمد عيسى الحريري؛ الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقته الخارجية بالمغرب والاندلس (160هـ- 296 هـ)، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت، 1408هـ/1987م، ص86.

الأحراش والسباع يسمى "تاهرت"¹، فشرع في بناء دولته الإسلامية الجديدة هناك ما بين 155 هـ -160 هـ وهي "الدولة الرستمية"².

بذل عبدالرحمن جهده مع من معه من العلماء في بناء تيهرت حتى تكون على أجمل هيئة من مساجد وقصور ودور وبيوت وأسوار حصينة فازدهرت نلتهرت وبلغت شهرتها الآفاق وشدت إليها الرحال للتجارة والسكن والعيش الرغيد الآمن، وعلى رأسهم الكتاب والأدباء والرحالة الذين أشادوا بها ومنهم المقدسي الذي قال عنها «...هي بلح المغرب، قد أهدقت بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت فيها البساتين...هي بلد كبير محكم الوضع عجيب الوصف»³.

وما إن وصلت سنة 160 هـ، حتى قام العلماء و أهل تاهرت بمبايعة عبدالرحمن إماماً عليهم إلى سنة 168 هـ، وقد تولى الحكم في الدولة الرستمية عدد من الأئمة يتم اختيارهم من قبل العلماء والرعية ومنهم "عبد الوهاب بن عبدالرحمن بن رستم"، الذي حكم مع والده حتى سنة 188 هـ ووقعت في عهده عديد من الفتن لكنه أخدمها بدهائه وسياسته ونذكر كذلك "افلح بن عبد الوهاب" الذي حكم من سنة 188 هـ إلى سنة 238 هـ، وكانت تيهرت في أيامه هادئة ومزدهرة⁴ ونذكر كذلك :

- ابوبكر بن افلح (238-241 هـ) بويح هذا الامير من قبيلة نفوسة ذات النفوذ ولم يبايعه غيرها وكان أدبياً فقيهاً، غير مهتم بالناحية السياسية بل ترك أمرها لأخيه "ابي اليقظان".

¹ - وردت تاهرت على صورة تيهرت بين الحين والآخر، واللفظتان زناتيتان وتعني اللبوة. أنظر، محمد بن رمضان شاوش؛ الدرّ الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ط1، المطبعة العلوية بمستغانم، الجزائر، 1385 هـ/1966م، ص18.

² - محمد صالح ناصر؛ منهج الدعوة عند الإباضية، د ط، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عمان 1418 هـ/1997م، ص155.

³ - محمد بن احمد المقدسي؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د ط، دار احياء التراث العربي، بيروت، م1987، ص228.

⁴ - رابح بونار؛ المرجع السابق، ص- ص 27- 28.

- ونذكر أيضاً أبو اليقظان محمد أفلح (241-281 هـ) و أبو حاتم يوسف (281-294 هـ)¹ واليقظان بن أبي اليقظان (294-296 هـ)².

وقد اتسم نظام الحكم مطلع الدولة الرستمية بالبساطة الشديدة فاتخذ حاكم الدولة لنفسه لقب إمام ، وأصبح رئيس الدولة مصدر لجميع السلطات الدينية كانت أم سياسية بحيث طبقت قوانين الإباضية حول اختيار رئيس الدولة ثم تحولت الإمامة إلى سلطة مركزية أشبه بالملكية المطلقة³.

أما عن الجوانب الأخرى فقد اهتم الأئمة الرستميون بالجانب الاقتصادي لدولتهم فاهتموا بالزراعة وكانت تكثر فيها البساتين وزراعة الحبوب والعص فو والكتان والسهم والنخيل ومختلف الفواكه والتين والزيتون وقد أقاموا خزانات و أحواض كبيرة للماء اكتشفها الأثريون وكانت محكمة التصميم والهندسة ليحافظوا على الماء أيام الجفاف ، بل أنهم الماء للبيوت عن طريق الأنابيب و شق القنوات . و اهتموا كذلك بالرعي وتربية الماشية التي كانت عمادا لبيت مال المسلمين ، فكانوا يربون الغنم والبقر والجمال والخيول والبغال والحمير وكانت تجارتها رائجة وتصدر إلى الدول المجاورة ، وكانوا يستغلون في إنتاج الصوف⁴.

وكذلك كان لهم اهتمام كبير بالصناعة فكانت توجد في الدولة الرستمية العديد من الصناعات والحرف كالنجارة والحدادة والخياطة والدباغة والطحن وصناعة السفن والقوارب وصناعة الزجاج والفخار والتحف والعمود والخشب المنحوت والمخطوط والمموه والمرصع

¹ -ابن الصغير؛ أخبار الأئمة الرستميين، تح وتبع محمد ناصر ابراهيم بحاز، د ط، دار الغرب الإسلامي، د م ن، د س ن ، ص-ص 89 - 91.

² -عبد الله البارونزي؛ الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، د ط، ج 2، مطبعة الأزهار البارونية، د م ن، د س ن، ص 292.

³ - محمد عيسى الحريري؛ المرجع السابق، ص 224.

⁴ - ابراهيم بحاز؛ الدولة الرستمية(دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية) ، ط1، مطبعة لافوميك، الجزائر، د س ن، ص-ص 142-158. ابو القاسم بن حوقل النصيبي؛ صورة الأرض، دط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م، ص86.

بالعاج أو الصدف وصناعات الذهب والفضة حتى أنها كانت تضرب منها الدراهم والدنانير فكانت لها عملاتها الخاصة التي كشفت عنها الآثار¹.

وقد اهتموا بالتجارة أيما اهتمام فأنشأوا الأسواق في مختلف المدن فكانت رائجة بشتى أنواع البضائع والمؤن التي تأتي من داخل الدولة الرستمية نفسها أو من دول أخرى عن طريق العلاقات التجارية ، حيث كانت للدولة الرستمية علاقات تجارية مع الكثير من الدول كالأندلس ومصر وبلاد السودان وغيرها من البلدان في المشرق والمغرب ووصل النشاط التجاري في الدولة الرستمية إلى حد أنه كان يوجد بها التخصص في الأسواق فكان بها سوق النحاس وسوق الأسلحة وسوق الصناعة وسوق الأقمشة وغيرها من الأسواق².

كما أقام الرستميون بإنشاء بيوت الأموال في مدن الدولة الرستمية وبيت مال مركزي في العاصمة مع دار للزكاة³.

كذلك فإن الدولة الرستمية لم تهمل جانب العلوم، فكانت تجري بين العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية والتيارات الفكرية المناظرات والمناقشات العلمية بحرية تامة وبلا تضيق، إهتم أهلها بالأدب العربي الشعر والمعمار فبنوا القصور والبيوت والمساجد والأسواق والفنادق و الحمامات وغيرها ، ومن أشهر المدن الرستمية "ت اهرت" العاصمة ومدينة "وهران" ومدينة "شلف"⁴.

وقد اهتم الرستميون بالجانب العلمي والفكري اهتماما كبيرا ، فقد كان شرطا أساسيا يجب أن يتوفر في إمام الدولة عالما بأمور الشريعة والسياسة والحكم فدأبت الدولة على إنشاء المؤسسات التعليمية كالكتاب و أماكن التعليم و إقامة حلق العلم في المساجد سواء في

¹ - إبراهيم بحاز؛ المرجع السابق، ص- ص 164- 174.

² - محمد علي دبور؛ تاريخ المغرب الكبير، د ط، ج 2، مؤسسة تواليت الثقافية، د ب ن، 2010م، ص 283.

³ - إبراهيم بحاز؛ المرجع السابق، ص- ص 175-179.

⁴ - عبدالله الباروني؛ المصدر السابق، ج 2 ، ص8.

التفسير أو الحديث أو الفقه أو اللغة وغيرها من العلوم ، و أنشأت المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم و الآثار ، و كانت أشهر مكتبة هي "مكتبة المعصومة " التي كانت تحوي آلافا من المجلدات والكتب .

لكن في أواخر عهد الدولة الرستمية أنهكها الضعف ، بسبب اختلاف شيعتها و إشتداد روح العصبية لقبائلها وتمكن الخلافات المذهبية في رعاياها ، وصراع حكامها على الملك ، حل عليها الفاطميون ليجدوها لقمة سائغة فاقدة لكل قوة على عهد "اليقطان" تغمرها الفتن السياسة المائجة والأحوال المتدهورة فزحفوا عليها سنة 296 هـ / 909 م ، وقتلوا الحاكم و أسرته وبذلك انتهت هذه الدولة¹.

¹ - مبارك الميلي؛ تاريخ الجزائر الحديث والقديم، د ط، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976 م، ص 64.

المبحث الأول: دخول المذهبيين معاً لبلاد المغرب والأسباب المشتركة لذلك.

المطلب 1: الأسباب المشتركة لتوجه الخوارج لبلاد المغرب

ارتبط ظهور مذهب الخوارج وانتشاره في بلاد المغرب العربي بعاملين هما:

1- التطور السياسي الذي حدث للخوارج في المشرق الإسلامي في أواخر القرن 1 هـ/7هـ، بعد فشل ثوراتهم واضطرارهم إلى إتباع أسلوب الدعوة والتنظيم السياسي واختيار أطراف العالم الإسلامي ميداناً لنشاطهم بعد أن تعرضوا للمطاردة والاضطهاد¹، ويظهر أن تلك الإضطهادات العنيفة التي وجهت ضد خوارج المشرق والانتصارات العظيمة التي حققها عليهم بنو أمية دفعتهم إلى الهجرة إلى حيث لا تتألم أيادي البطش والطغيان، أي في البيئات التي مازال مسلموها ينعمون بحياتهم الدينية، في إطار البساطة الدينية والاتجاهات الغير متحيزة، وقد وجد مهاجرو الخوارج في بيئة المغرب نموذجاً لهذه البيئات وتربة خصبة لزراعة آرائهم وبعث دعوتهم وتقوية صفوفهم².

2- ملائمة الأحوال السياسية والاجتماعية والبعد الجغرافي لبلاد المغرب في أواخر القرن 1 هـ/7م و أوائل القرن 2 هـ/8م، لتقبل هذا المذهب وانتشاره، ويعزى ما أصابهم في المشرق إلى أسباب منها تطرف عقائدهم وقصور فكرهم السياسي من الثورات التي قاموا بها طوال العصر الأموي، فبعد هذا الفشل وجدوا المغرب متقبلاً للمذهب الخارجي خاصة وهي تعاني من الفتن الناجمة عن الخصومات القبلية بين القيسية واليمينية³، بالإضافة إلى انشغال الولاة وتنافسهم على جمع الأموال من أجل إرضاء الخلافة من جهة وكسباً للأنصار وإشباعاً لرغباتهم من جهة أخرى، فأرسلوا الحملات إلى أطراف المغرب من أجل الحصول على الغنائم، إذ كان البربر يشكلون الأغلبية في تلك الجيوش⁴.

¹ - محمود إسماعيل عبد الرزاق؛ الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406 هـ/1985م، ص 23.

² - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، دط، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 153.

³ - السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، دط، ج2، دار النهضة العربية بيروت، 1981م، ص 300.

⁴ - السيد عبد العزيز سالم؛ المرجع السابق، ج2، ص 213.

3- معاناة البربر من سوء معاملة عمال الأمويين لهم وإرهاقهم بالمغارم والجبايات، إلى درجة أن بعض الولاة أخذوا برأي أن بلاد المغرب بلاد حرب حتى بعد اعتناقهم الإسلام¹. حتى وصل الأمر بأحد الولاة وهو "يزيد بن أبي مسلم"² بأنه كان يوشم حرسه من البربر على أيديهم وهو ما استاء منه البربر كثيرا وهم قوم لا يعرفون طاعة ولا ذلة ولا انقياد³، إذ كان البربر يتوقعون من العرب أن يعاملوهم معاملة الأنداد لجهودهم الكبيرة في عمليات الفتح، لكنهم صدموا باستذلال الولاة لهم خاصة البربر البتر (هواره وزناته)⁴، وهكذا تسبب الولاة في المغرب بإثارة مشاعر الحقد والكراهية عند البربر على الولاة والخلفاء على حد سواء⁵.

المطلب 2: دخول المذهبيين بلاد المغرب معا وانتشارهما

في ظل الظروف المذكورة، كانت حركة الدعاة الخوارج تصل لبلاد المغرب، وفي الرواية وصل المذهب الإباضي والصفري في بدايات القرن 2هـ/8م، على راحلة واحدة

¹ - نفسه؛ ص 300.

² - هو أبو العلاء بن دينار يزيد بن ابي مسلم الثقفي، عمل مولى للحجاج وكاتباً له، ولاء على افريقية يزيد بن عبد الملك، فثارت عليه الخوارج ففتكوا به لظلمه سنة 102هـ. أنظر؛ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترتيب حسان عبد المنان، دط، بيت الأفكار العلمية، 2004م، ص 4230.

³ - أبو الحسن أحمد بن جابر البلاذري؛ فتوح البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 200. وأنظر، عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م، ص144. وأنظر، موسى لقبال، المرجع السابق، ص 155. وأنظر، جورج مارسية، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر مصطفى أبو ضيف احمد، دط، منشأة المعارف الإسكندرية، 1999م، ص50.

⁴ - السيد عبد العزيز سالم؛ المرجع السابق، ج2، ص 301.

⁵ - إسماعيل محمود عبد الرزاق؛ المرجع السابق، ص 30.

ممثلاً بسلمة بن سعد¹، الذي يدعو الإباضية وعكرمة مولى ابن العباس² الذي يدعو إلى الصفرية ونشطا في دعوتها نشاطا كبيرا، ويذكر في وصول المذهبيين إلى بلاد المغرب في آن واحد ورحلة واحدة عبارة نصها: "حدث غير واحد من أصحابنا عن الإمام أفلح عن ابنه عبد الوهاب عن جده عبد الرحمان بن رستم أنه قال: أول من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بالقيروان افريقية، سلامة بن سعد قال قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن العباس متعقبين على بعير فسلامة يدعو إلى المذهب الإباضي وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية فسمعت سلامة يقول وددت أن لو ظهر هذا الأمر يعني المذهب الاباضي يوما واحدا من أول النهار الى آخره فلا أسف على الحياة بعده فقام عبد الرحمان مجتهدا في ذلك الأمر..."³.

في رواية أخرى يذكر تاريخ بدء دعوة الخوارج بالمغرب بسبب تضارب الروايات واختلاطها، فابن حوقل يرجع بداية الدعوة الى معركة النهروان سنة 38 هـ (658م) فيذكر أن "عبد الله بن وهب الراسبي وعبد الله بن اباض لجأ إلى جبل نفوسة منذ وقت انصرافهم

¹- هو سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليميني، صنفه الدرجيني ضمن طبقة تابعي التابعين، أخذ العلم عن جابر بن زيد وابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة، وهذا الاخير هو الذي ارسله للمغرب لنشر المذهب الاباضي هناك، وكان يقول " وددت ان لو ظهر هذا الامر من اول النهار إلى اخره، فلا أبالي إن مت بعد ذلك". أنظر، الدرجيني؛ المصدر السابق، ج1، ص- ص 11-12. وأنظر، الشماخي؛ المصدر السابق، ج1، ص 91.

² - هو أبو عبد الله عكرمة مولى عبد الله بن العباس، روى عن مولاة روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن أبي هريرة، وقيل لسعيد بن جبیر: "تعلم أحدا أعلم منك" قال: " إذ يتفق العلماء على حفظه ومعرفته بالعلم وتفسير القرآن الكريم، دخل عكرمة افريقية وأقام بالقيروان وبيت بها العلم وكان مجلسه في مؤخرة جامع القيروان في غربي الصومعة، تذكر المصادر أن أصله من بربر افريقية وذكر منهم أنه من سبي افريقية، اشتراه ابن العباس فقيل له "أتبيع علم أبيك" فسترده وأعتقه توفي سنة 105 هـ وهو ابن 80 سنة فقيل مات "أعلم الناس". أنظر أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي؛ رياض النفوس في طبقات علماء افريقية وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تر بشير البكوش ومرا، محمد العروسي المطوي، ط 2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414 هـ/1994م، ص- ص 145- 146. وأنظر، علاء الدين مغلطاي ابن قليج بن عبد الله البكري الحنفي، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت حابي عبد الرحمن عادل بن محمد وابن محمد اسامة بن ابراهيم، ط1، ج9، الفاروق الحديث للنشر، القاهرة، 2001م، ص- ص 259- 268.

³ - الدرجيني؛ المصدر السابق، ج1، ص- ص 11-12.

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بمن سلم معهم من أهل النهروان... وأقاموا هذا الجبل دار الهجرة"¹ لكن المعروف أن الراسبي قتل في النهروان، كما أن ابن اباض لم يرد له ذكر بين من نجوا من القتل في المعركة²، الأمر الذي يشكك في صحة هاتاه الرواية، لكن ليس ببعيد أن يكون بعض من فروا بعد معركة النهروان قد اعتصموا بجبل نفوسة، لكنهم لم يتركوا هناك أثرا يذكر لكن الظهور الحقيقي للمذهبيين في بلاد المغرب يعود الى أواخر القرن الأول هجري، وأوائل القرن 2هـ/8م³.

لا يمكن الجزم بأن الصفرية والإباضية بدخولهما معا التأمًا بنظام واحد، أو أن دعائهما تلازما في نشر تعاليمهما، إذ أن دعاة الفرقة الإباضية اتجهوا إلى الأقاليم الشرقية من بلاد المغرب بينهما اتجهت الدعوة الصفرية إلى قبائل المغرب الأقصى، فلم نجد ما يشير عمل مشترك في الجهود الدعوية التي قاموا بها بين البربر، بل إن كلاً من الجماعتين اختطت لنفسها طريقا خاصا، ولم تتورعا عن التنافس والصراع الذي انتهى باقتتالهما في بعض الأحيان، كما سنرى فيما يأتي من مطالب⁴.

فالصفرية انتشرت بين بربر مطغرة ومكناسة وبرغواطة وأيضا انتشر المذهب بين بربر زناته وبعض بطونها بالمغرب الأدنى (ورفجومة) وكذلك بربر نفاوة. أما الإباضية فاننتشرت بجبل نفوسة وقبائل هواره ولماية وزناته وزواغه ولواته ومطماطة⁵.

¹ - أبو القاسم بن حوقل؛ المسالك والممالك، د ط، مطبعة بريل، لندن، 1873م، ص68.

² - أبو الحسن بن علي المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجواهر، مر كمال حسن علي، ط1، ج2، المكتبة العصرية بيروت، 1424هـ/2005م، ص315.

³ - موسى لقبال؛ المرجع السابق، ص165.

⁴ - محمود إسماعيل عبد الرزاق؛ المرجع السابق، ص47.

⁵ - نفسه؛ ص- ص . ص 148- 149 . 55. أنظر حول تموقع القبائل، ملحق رقم

المبحث الثاني: الصفرية - الإباضية توافق وتعارض

المطلب 1: نظرة الإباضية للصفرية

إن تفرع فرقتي الصفرية و الإباضية من تيار واحد لم يمنع من أن تنشأ بينهما خلافات في المبادئ والمعتقدات أو حتى الاعتراف بكيان الآخر كخوارج، فهم الذين ظهروا حسب الروايات التاريخية من خلال معارضة علي رضي الله عنه، في واقعة صفين (37هـ / 656م-657م) بسبب قبوله التحكيم، وقالوا " إن الحكم إلاّ لله"، منها ما نشأت بسبب انشقاقات في البصرة سنة (64هـ / 683م . 684م)، بيد أن الإباضية عل رأسهم إباضيو عمان وشمال شرق إفريقيا يتبرؤون من الخوارج وبذلك من الصفرية لأن معنى الخوارج بالنسبة لهم يأتي من الغلو والخروج عن الإسلام¹، ويعرف الإباضيون الخوارج تعريفا معمما شموليا فيقولون كل شخص أو فرقة تكفر من يخالفها في الآراء السياسية أو الدينية وهذا ينطبق على الجميع سواء في عهد الصحابة أم في العهود التي تليه²، فهم يعتبرون نسبتهم إلى الخوارج اتهاماً قبيحاً، وحسب رأيهم فإن الخوارج هم من أشار إليهم الرسول صل الله عليه وسلم بحديث المروق³، بمعنى أنهم لم يكونوا في أي مرحلة تاريخية مع الخوارج الصفرية وغيرهم (أزارقة، صفرية، نجدات، البيهسية)⁴.

¹ - أروهان آتش؛ الإباضية من مصادرها بحث في النشأة والمفاهيم والعلاقات والواقع اليوم ، تر سعيد الحاج، نقد محمد بابا علي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المذاهب ، اشراف توفيق يوجد وغرو ، جامعة أولوداغ، ط1، مطبوعة "كتابك"، 1435هـ/2014م، ص 85.

² - بكير بن سعيد أوعشت ؛ دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، ط 3، دار التضامن للطباعة، القاهرة ، 1408هـ/1980م، ص7.

³ - أنظر، صحيح مسلم؛ المجلد 1، ص 740. وأنظر؛ صحيح البخاري: المجلد 8، ص 52.

⁴ - أروهان آتش؛ المرجع السابق، ص 86.

إن الإباضية لا تنكر علاقتها بالمحكمة¹، بل ترى أن أهل المحكمة هم سلفهم ويشيرون إلى أن الخوارج نشؤوا بعد تاريخ (64هـ)، وإذا ذكروا الخوارج ففهم يقصدون بذلك الفرق التي انشقت عن المحكمة وعلى رأسها الأزارقة والنجيدات والصفيرية².
 إذ ينقل عن "ابن إياض"، في تعريفه للخوارج " هم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما حدث من بدعته وفارقه ... وهم حاب على بن أبي طالب حين بدل حكم الله، فهم فارقوا هؤلاء كلهم، وأبوا أن يقروا بحكم البشر دون حكم الله وكانوا يتولون في دينهم نبي الله (ص) وأبا بكر وعمر رضي الله عنه، ويدعون إلى سبيلهم، فهذا خير الخوارج نشهد أنا لمن عاداهم أعداء وأنا لمن والاهم أولياء... بألسنتنا وأيدينا وقلوبنا..."³.
 فقد أقر ابن إياض أنه يلتقي مع الخوارج حين خرجوا عن الأئمة الذين بدلوا حكم الله بحكم البشر وفي نفس الوقت يعلن براءته ممن خرج عن الدين فهو لم يحشر نفسه مع الخوارج فهو ليس منهم لكنه يوافقهم في رأيهم⁴.

إذن فالخوارج في نظر الإباضية هم الصفيرية والأزارقة والنجيدات، كانوا مع الإباضية فخرجوا عنهم بخروجهم عن الدين لما قالوا بتحليل الأموال والدماء بالمعصية⁵.
 أما إذا فصلنا في اختلافهم مع الصفيرية من ناحية المعتقدات والمبادئ فنجد أنهم:

¹ - هم الذين خرجوا على "علي بن أبي طالب" عند التحكيم وقد اجتمعوا في "الجزيرة" قرب الكوفة وكان زعمائهم "عبد الله بن وهب" و"عروة بن جرير" و"حروص بن زهير السعدي" ...، وغيرهم وكانوا في 12000 يوم موقعة النهروان، وبعض الآثار السنوية تذهب إلى تحديد بروز هذا التيار إلى حادثة التي قال فيها أبو الخويصرة وهو حرقوص بن زهير لرسول الله (ص) وهو يقسم فبهي غزوة خيبر، قال له "اعدل فانك لم تعدل" فسمعه الرسول (ص) وقال "يخرج من ضئضى هذا قوم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وقد مثل هؤلاء النواة الأولى للحزب الخارجي الذي كان موحداً آنذاك وهم المعروفون "بالمحكمة الأولى". أنظر، الدرجيني؛ المصدر السابق، ج1، ص202. وأنظر، عز الدين ماضي أبو عزام، الإسلام الصوفية هو الحل لإسلام الخوارج، ط1، دار الكتاب الصوفي، د ب ن، 1993م، ص- ص 28-30.

² - اورهان آتش؛ المرجع السابق، ص 99. وأنظر؛ المنصف قوجة؛ تاريخ الإباضية الديني والسياسي (من القرن الأول إلى القرن السادس هجري)، ط1، الدار التونسية للكتاب، 2014، ص- ص 9 - 10.

³ - إبراهيم البرادي؛ الجواهر المنتقاة، ذكر ما كتبه "عبد الله بن إياض إلى عبد الملك مروان، ص156.

⁴ - عدون جهلان؛ المصدر السابق، ص123.

⁵ - اورهان آتش؛ المرجع السابق، ص99.

لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار وقالوا إن "التقية جائزة في القول والعمل، وكذلك "ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزم هبه الجد كالزنا والسرقة والقذف فيسمى زانيا سارقا، قذفا، لا كافرا مشركا وما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة والفرار من الزحف فإنه يكفر بذلك¹.

¹ - عبد المنعم حنفي؛ موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشد، القاهرة، 1413هـ/1993م، ص 277. وأنظر؛ خالد أحمد صالح ؛ "الاباضية" تعاليمهم وانتشارهم في المغرب العربي "، مجلة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الأول، 2011م، ص124. أنظر؛ الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 159.

المطلب 2 : الصراع الإباضي - الصفري في القيروان

كانت القيروان تحت ملك "حبيب بن عبد الرحمن" سنة 138هـ وكان يطالب بدم عمه "عبد الوارث" لمشاركته في قتل أبيه "عبد الرحمن بن حبيب" ¹ الذي كان واليا على إفريقية²، للخليفة المنصور الأموي ³، وكان "عبد الوارث" محتما بقبيلة "ورفجومة" الصفرية وهي إحدى بطون نفاوة من البرابرة البتر ⁴، وهي من القبائل البربرية الكبرى وجمهور كبير منها في جنوب إفريقية ومن بطونها هذه القبيلة، إذ كانت هاته القبيلة بحكم مذهبها الصفري وحقدتها على عبد الرحمان بن حبيب لوقائعه فيهم فبوذها أن تظفر بهم فتشقى أحقادها⁵، ولذلك أجازوا عبد الوارث⁶.

وكان زعيم "ورفجومة" هو عاصم بن جميل⁷، وهو كاهن التفت حول "ورفجومة" فهو

¹ - هو عبد الرحمن بن حبيب بن ابو عبيدة الفهري، من نسل عقبة بن نافع، (ت 137هـ/755م)، استغل اضطراب اوضاع الدولة الأموية بعد موت الخليفة هشام بن عبد الملك واعلن نفسه حاكما على إفريقية، ودعى اهله الى مبايعته فاستجابوا له، ثم اقره الخليفة مروان بن عبد الملك واليا عليها سنة 127هـ/745م، حتى وفاته. أنظر، المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، ص60. وأنظر، زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر زكي محمد حسن بك وحسن احمد محمود، دط، دار الرائد العربي بيروت، 1400هـ/1980م، ص 132. وانظر، السلاوي؛ المصدر السابق، ج1، ص172.

² - نقصد هنا إفريقية التي تبدأ من بعد أرض برقة وتمتد حتى بجاية وقيل مليانه، أنظر، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي؛ مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح علي محمد البجاوي، ط1، ج1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص101.

³ - محمد علي دبور؛ المرجع السابق، ج2، ص 395.

⁴ - الرقيق القيرواني؛ تاريخ إفريقية والمغرب، نق وتحت محمد زينهم ومحمد عزب، ط 1، دار الفرغاني للنشر والتوزيع، د ب ن، 1414هـ/1994م، ص 140.

⁵ - محمد علي دبور؛ المرجع السابق، ج2، ص 395.

⁶ - عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج4، ص194.

⁷ - نفسه؛ ج6، ص115.

صاحب الكلمة المسموعة وبإجارته لعبد الوارث¹، نهض إليهم حبيب فأوقعوا به وهزموه فالتجأ إلى قابس واعتصم بأسوارها واستفحل أمر عاصم في افريقية فصار هو القوة الحربية الكبرى وسار إلى القيروان فقاتل أهلها وهزمهم²، ودخل القيروان عنوة وكانت تسييره عداوته وأحقاده ومبدؤه من مذهب الصفري الذي يرى مرتكبي الكبيرة مشركين تحل دماؤهم وأموالهم وذراريهم وسبي نسائهم، فأستباح القيروان "عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي" كبير قياده³، وقتل "حبيب" سنة 140هـ/757م⁴.

أباح عبد الملك بن أبي الجعد القيروان لقومه فارتكبوا فيها كل ما سولت لهم أحقادهم ومذهبهم وبدائتهم وهشاشة دينهم فسفكوا الدماء وهتكوا الأعراض وأهانوا المساجد وربطوا فيها الدواب⁵، ففر كثير منهم إلى طرابلس حيث كان أبو الخطاب الإباضي، والتجئوا إليه وشكوا يرتكبه الصفرية من الفظائع وهتك الحرمات، وكتبت إليه امرأة من القيروان أن لها ابنة أختها في مطمورة خوفا عليها من ورفجومة، ونصت رسالتها كالتالي: "أما بعد يا أمير المؤمنين فان لي بنتا لم أحرزها إلا في حفرة حفرتها تحت سريري مخافة عليها من ورفجومة أن يفسدوها"، وصادق وصولها وهو يتوضأ فأجهش بالبكاء ونادى الصلاة جامعة وأمر رعيته بالاستعداد للحرب⁶.

وتذكر المصادر حادثة أخرى جعلت أحد الإباضية بالقيروان يستجد بآبن الخطاب فيقول: "ان رجلا من الاباضية شاهد قوما من ورفجومة قد أخذوا امرأة قهرا والناس ينظرون فأدخلوها الجامع فترك الاباضي حاجته وقدم إلى أبي الخطاب...، فأعلمهم بذلك

¹ - محمد علي دبوز؛ المصدر السابق، ج2، ص396.

² - الرقيق القيرواني؛ المصدر السابق، ص140.

³ - محمد علي دبوز؛ المرجع السابق، ج2، ص396.

⁴ - السلاوي؛ المصدر السابق، ج1، ص58.

⁵ - محمد علي دبوز؛ المرجع السابق، ج2، ص396.

⁶ - أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر؛ سير الأئمة وأخبارهم، تر وبع إسماعيل العربي، د ط، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م/1399هـ، ص38.

فخرج وهو يقول "بيتك اللهم بيتك" فاجتمع إليه أصحابه من كل مكان وقصدوا طرابلس الغرب واجتمع إليه الناس من الإباضية والخوارج وغيرهم¹.
ويذكر أن سبب توجه "أبي الخطاب"، لقتال في القيروان أنه رأى بأنهم اقتطعوا المغرب الأقصى والأوسط ودانت لهم إفريقية والقيروان وأصبحوا خطرا على بلاد المغرب الأدنى التي كانت الغلبة فيها للمذهب الإباضي خاصة أن لهم هدفا هو إنشاء دولة لهم ببلاد المغرب الأدنى بعد نجاح دعوتهم فيه².
استنفر عبد الرحمان أتباعه كما ذكر ذكرنا فبايعه أنصاره إماما عليهم من خليج سرت إلى قابس وشايعة بربر طرابلس وفي مقدمتهم هواره³، وجهز جيشه الذي بلغ تعداده ستة آلاف⁴، ثم توجه نحو القيروان، لتحريرها من استبداد وطغيان ورفجومة وما إن علم عبد الملك بن أبي الجعد بذلك حتى خرج من القيروان في حشود كثيفة من ورفجومة ومن أهل القيروان، واشتبك الفريقان بالقرب من القيروان في صفر سنة 141هـ، واشتد القتال ودارت الدائرة على عبد الملك إذ خذله أهل القيروان وانهمزوا عنه فأئخذ فيهم أبو الخطاب وهزمهم وقتل منهم عددا كبيرا ومن بينهم عبد الملك بن أبي الجعد نفسه وتمكن أبو

¹ - عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكريم ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، مر و تص محمد يوسف الدقاق، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م، ج4، ص281.

² - محمود إسماعيل عبد الرزاق؛ المرجع السابق، ص75.

³ - اختلفت الروايات في أصلها فهناك من نسبهم إلى هوار بن المثنى بن المسور بن يخصب، وهناك من قال بأنهم من عرب من كندة، والأرجح ما ذكره ابن خلدون انه تعود لهوار بن أوريج بن برنس، غالبيتهم يستقرون شمال وسط ليبيا. أنظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص186. وأنظر، أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد التجاني، رحلة التجاني، تق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م، ص216. وأنظر، احمد النائب الانتصاري، المنهل المعذب في تاريخ طرابلس الغرب، دط، د د ن، د س ن، ليبيا، ص 17.

⁴ - شنابت العيفة؛ دولة بني مدرار سجل ماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاريين القرنين الثاني والرابع هجريين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف موسى لقبال، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1410.1411هـ/1990.1991م، ص 100.

الخطاب من دخول القيروان¹، وفرت فلول الصفرية نحو المغرب الأوسط والأقصى وولى أبو الخطاب على القيروان "عبد الرحمان بن رستم"²، ويذكر عناية عبد الرحمان بورفجومة وتعليمها وتهذيبها حتى انظمت إلى الإباضية³.

¹ - السيد عبد العزيز سالم؛ تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، دط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د س ن، ص 256. أنظر ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج 1، ص 82. وانظر، ابن الأثير؛ المصدر السابق، ج 4، ص 281.

² - محمود إسماعيل عبد الرزاق؛ المرجع السابق، ص 76.

³ - محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج 2، ص 397.

المطلب 3: التقارب الإباضي - الصفري

❖ مشاركة الإباضية في ثورة "ميسرة المطغري"¹:

انتهينا إلى أن المذهبيين الصفري و الإباضي قد انتشرا بين قبائل المغرب، وان كانت السيادة فيها للمذهب الإباضي في المغربين الأوسط والأدنى إلا أن الخوارج الصفرية كانوا سباقين إلى تخطي مرحلة الدعوة إلى مرحلة "الظهور" وإعلان الثورة بينما شغل الإباضية إذ ذلك بإتمام نشر المذهب وتفقيه معتقيه، وعلى ذلك فلا محل لتصديق الرواية المتواترة القائلة بانضواء خوارج المغرب إباضية و صفرية تحت لواء ثورة "ميسرة المطغري" في عام 121هـ، فقد كانت ثورة صفرية خالصة².

❖ التحالف الإباضي - الصفري:

قبل الوصول إلى الموقعة التي أدت إلى التحالف الإباضي الصفري وجب أن نتعرف على وضع الطرفين المتمثلين في شخصيتي "عبد الرحمان بن رستم" و "أبو قرّة بن دوناس اليفرني الصفري".

فبعد الرحمان بن رستم بعد عودته مع حملة العلم من البصرة ولاءه أبو الخطاب منصب إدارة القيروان التي كان مستوليا عليها سنة (141هـ/758م)³، إلا أن محمد بن الأشعث

¹ - هو ميسرة المطغري أو المدغري أو المثغري، زعيم بربري بتري، اختلفت الروايات حول أصله، وهناك من يقول انه من أصل عربي من قبيلة الازد، وتؤكد أخرى انه منقبيلة مطغره، وصف بالعديد من الأوصاف، منها الحقير والفقير والسقاء، ربما هذا الوصف من نسج خصومه تحقيرا له، بينما يصفه بعض المؤرخين الخوارج بالخفير تنزيها له عن وصف الحقارة، تذكر بعض المصادر أن ميسرة كان وجيها في قومه من ذوي العلم والصلاح ومن رواد المجالس العلمية، وأنه أعتق المذهب الصفري بالقيروان ونشره بين قومه في إقليم طنجة، خلف عكرمة مولى ابن العباس وأصبح مقدم الصفرية، أعلن الثورة ضد الأمويين، قتل من طرف احد اتباعه. أنظر، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 181. وأنظر، ابن ثغري بردي؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، ص . وأنظر؛ المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص52. وأنظر؛ الرقيق القيرواني؛ المصدر السابق، ص109. حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط3، دار الرشاد، القاهرة، 2005م، ص- ص 203-204. وأنظر، موسى لقبال؛ المرجع السابق، ص 63.

² - محمود إسماعيل عبد الرزاق؛ المصدر السابق، ص62.

³ - البكري؛ المصدر السابق، ص68.

مبعوث الخليفة المنصور العباسي زحف إليه ليقضي على النفوذ الإباضي بالمغرب، فقتل أبو الخطاب وفر "عبد الرحمان" إلى المغرب الأوسط، واستقر بمنطقة "سوفجج" وذاع سيطه هناك وملاً الآفاق. وأخذت فلول الإباضية تتجمع وتتكاثر على جبل سوفجج واتخذوه مكاناً للشملة واسترجاع القوى¹.

أما عن أبي قرة الذي تنسبه المصادر إلى "مغيلة" أما محققي المؤرخين فينسبونه إلى "بني يفرن"² فقد كان أحد قادة الصفرية الذين بويع من طرفهم ودامت قيادته عليهم أربعين سنة، حيث شارك في العديد من المواقع بين الخوارج الصفرية والولاية العباسيين وعمالهم وبعد مقتل "عبد الواحد بن يزيد" زعيم الصفرية سنة 150هـ/767م) تولى مرة أخرى زمام الأمور خلال ولاية "الأغلب بن سالم التميمي"، وتمكن من انشأ إمارة بتلمسان³. عند تولي "الأغلب بن سالم"⁴ واليا على القيروان بتكليف من أبي جعفر المنصور العباسي، قتل على يد جند الخلافة بسبب سهم طائش أصيب به حينما كان يخضع أحد الجنود الثائرين⁵، لما بلغ أبا جعفر المنصور نبأ مقتل الأغلب بن سالم بعث إلى افريقية "عمرو بن حفص"، الذي وصلها سنة (151هـ/768م)، وعرف عمرو بشجاعته الفائقة في ميادين الحرب والقتال حتى انه لقب ب"هزار مراد" وهي كلمة فارسية معناها ألف رجل، فاستتب له الأمر وهدأت الأحوال في عهده واستقامت الأمور طيلة ثلاث سنوات، وقد

¹ - محمد عيسى الحريري؛ المرجع السابق، ص84.

² - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج7، ص24.

³ - بوزياني الدراجي؛ دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دط، دار الكتاب العربي، الجزائر، د س ن، ص- ص، 98-99.

⁴ - هو الأغلب بن سالم بن عقال التميمي، تولى آخر عهد أبي جعفر المنصور سنة 148هـ، قتل وهو يحاول اخماد ثورة احد ولاته عليه سنة 150هـ. أنظر، المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص، وأنظر، ابن الابار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، الحلة السيرة، تح وتو حسين مؤنس، ط2، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص

⁵ - المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، ص75. وأنظر؛ ابن الأثير؛ المصدر السابق، ج5، ص587.

أغرى ذلك السكون "أبا جعفر" فتطلع الى بسط سلطان الخلافة على المغرب الأوسط فأمر عمر بن حفص بالتوجه إلى طبنة قاعدة إقليم الزاب لتحصينها وبناء سورها¹. وتعتبر قاعدة طبنة المفتاح الذي يجب الاحتفاظ به للتحكم في المغرب الأوسط فضلا عن أنه السبيل لاسترداد القيروان نفسها إذا سقطت في أيدي الأعداء². وأحس عبد الرحمان بن رستم ومن معه من الاباضية بخطورة العمل الذي أقدم عليه "عمر بن حفص" فاتفق ابن رستم مع أنصاره في طرابلس وجنوب افريقية وتلمسان على الانتفاض ومحاربة العباسيين³. ويدل ذلك على أن الأمور كانت تسير بتسيق تام بين جماعات الخوارج في بلاد المغرب على اختلاف مذهبها ومواطنها. وتذكر بعض المراجع أن الخليفة المنصور أمره ببناء "طبنة" كحاضرة إسلامية ولأجل تنفيذ رغبة الخليفة المنصور، ولإتمام العمل على أكمل وجه أقام عمرو بن حفص بعيدا عن القيروان فانعزل عما يجري في أرجائها، وفي منطقة طرابلس بالذات التي كان يراها نيابة عنه الجنيد بن بشار⁴، ومستخفا على القيروان "حبيب بن حبيب المهلبي"⁵، فابتدأ الإباضية حركتهم، بإنزال الهزيمة بعامل طرابلس "الجنيد بن بشار" أو طرده إلى قابس ثم محاصرته فيها بقوات كبيرة على رأسها "أبو حاتم بن حبيب"، وقد ظن مخطو سياسة التحالف أن خير طريق وأقربه إلى الظفر بالمطلوب هو الزحف مباشرة على طبنة لمناجزة حاميتها وممثل الخلافة فيها، وتبعاً لذلك حوصرت طبنة بعد الزحف على القيروان وقتل

¹ - السيد عبد العزيز سالم؛ المرجع السابق، ص351. وأنظر، محمد أبو القاسم القيرواني؛ المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1986م، ص37.

² - إبراهيم العدوي؛ بلاد الجزائر، تكوينها الإسلامي والعربي، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970م، ص178.

³ - السيد عبد العزيز سالم؛ المرجع السابق، ص351.

⁴ - موسى لقبال؛ المرجع السابق، ص171.

⁵ - ابن الأثير؛ المصدر السابق، ج5، ص298.

واليها "حبيب بن حبيب المهلبي" الذي خرج وتمكنوا من محاصرته، وكان مع عبد الرحمان بن رستم¹ في قيادة الفرق الاباضية "أبو حاتم" و"مسعود الزناتي".

واشتعلت نيرا الفتنة بافريقية وجاءتها جيوش الاباضية الصفرية من كل فج وجمع معظم المؤرخين على أن هذه الجيوش بلغت اثني عشر عسكريا² "ورؤسائهم أبو قرّة الصفري في أربعين ألفا وعبد الرحمان بن رستم الاباضي في 15 ألفا، وأبو حاتم في عدد كثير وعاصم السدارتي في عدد كثير قيل في ستة آلاف ومسعود الزناتي في عشرة آلاف وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي في ألفين وخمسمائة سوى جماعات أخرى"³، وانجلى الموقف عن نتائج خطيرة، فالقيروان تحاصرها القوات الإباضية وعمر بن حفص تحاصره قوات التحالف الإبااضي الصفري وإزاء هذا جمع عمر بن حفص قواده واستشارهم فيما يفعله فأشاروا عليه بالبقاء في طبنة وقالوا: "أخرج منا من أردت إلى عدوك ولا تخرج أنت فانك إن أصبت تلف المغرب وفسد".⁴

ولم يكن أمام عمر بن حفص إلا أن يعمل الحيلة لتفريق هذه الجموع، فأرسل إلى أبي قرّة رسولا برشوة من المال تقدر بستين ألف درهم ليرجع عن حصار طبنة ولكن أبا قرّة رفض ذلك بشدة قائلا: "بعد أن سلم على بالخلافة أربعين سنة أبيع حركم بعرض قليل من الدنيا"⁵، فانصرف رسول عمر بن حفص إلى أخي أبي قرّة، ونجح في مهمته وقدم إليه أربعة آلاف درهم وثيابا ليعمل في صرف أخيه عن حصار طبنة فأجابهم وارتحل في نفس

¹ - موسى لقبال؛ المرجع السابق، ص 172.

² - المراكشي؛ المصدر السابق، ج 1، ص 75. وأنظر، ابن الأثير؛ المصدر السابق، ج 5، ص 599.

³ - المراكشي؛ المصدر السابق، ج 1، ص 75.

⁴ - نفسه؛ ص - ص 75 - 76.

⁵ - ابن الأثير؛ المصدر السابق، ج 5، ص 299. وأنظر، عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الاغلبية؛ جم وتح أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، تق و مر حمادي الساحلي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1410هـ/1990م، ص 180، وما يليها.

الليلة عن طبنة وتبعه العسكر منصرفين إلى بلادهم فلم يجد أبو قرّة بدا عن أتباعهم وانسحب مضطرا من أرض الحصار¹.

وبعد نجاح هذه الحيلة لم يعد أمام عمر بن حفص إلا أن يحطم قوة الإباضية الذين كانوا يحتفظون بقواتهم الرئيسية عند تهوذة بقيادة عبد الرحمان بن رستم، والذي يظهر أنه فوجئ بقوات عمر بن حفص تهاجمه بقيادة معمر عيسى العبدى²، ورغم صغر حجم هذه القوات المهاجمة التي ذكرت المصادر أنها كانت ألفا وخمسمائة جندي بينما كان عبد الرحمان بن رستم في خمسة عشرة ألفا، وهذا ما يؤكد تحقق عنصر المفاجأة التامة، الأمر الذي جعل خسائر ابن رستم كثيرة جدا، إذ قدرها ابن عذارى بثلاثة ألف جندي³.

وهنا تراجع عبد الرحمان بن رستم منهزما إلى إقليم تاهرت⁴، وكانت هذه الهزيمة نقطة تحول بارزة في نشأة الدولة الرستمية فيما بعد فقد رأى عبد الرحمان بن رستم أن ينسلخ عن قوى الصفرية المتضاربة التي لا تجمعها أهداف واحدة وفضل أن يعمل بمفرده معتمدا على نفسه وعلى التجمعات الإباضية التي تقف حوله في المغرب الأوسط وهكذا حمل الإباضية بقيادة عبد الرحمان بن رستم أباء الصراع في المغرب الأوسط بعد أن تراجعت قوى الصفرية تلك القوى التي وجدت نفسها في مأمن هناك في المغرب الأقصى⁵. وعلى العموم فالجدير بالذكر هنا أيضا هو ما تميزت به حركة الخوارج وثوراتهم من الشمول وسعة الانتشار بفضل الثورة الأولى التي قادتها ميسرة المطغري سنة

¹ - ابن عذارى؛ المصدر السابق، ج1، ص76.

² - الرقيق القيرواني؛ المصدر السابق، ص. وأنظر، المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، ص67. وأنظر، ابن الأثير؛ المصدر السابق، ج5، ص599.

³ - المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، ص76.

⁴ - ويقصد هنا تاهرت الاقليم وليس المدينة لأنها لم تختط بعده. أنظر، سعد زغلول عبد الحميد؛ تاريخ المغرب العربي، دط، ج2، منشأة المعارف، 1993م، ص، 37.

⁵ - المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، ص76.

(121هـ/739م)، فقد كانت نموذجا اقتفاه ثوار المغرب الأوسط والأدنى من صفرية واباضية على حد سواء¹.

وفضلا عن ذلك فقد اتسعت حركات الخوارج في المغرب الإسلامي بالإصرار المستميت وبالرغم من العديد من الضربات التي أوهنت حركتهم لكنها لم تقض عليها قضاء تاما فكانوا عقب تلك المحن يدأبون على إعادة التنظيم ولم الشمل سيرا بزعامة من سموه "بإمام الدفاع" فإذا ما أنسوا من أنفسهم قوة عادوا الخروج وأعلنوا الثورة على الولاة وهذا ما يفسر استمرار ثوراتهم قرابة نصف قرن، فلم تخبو نارها حتى خفقت أهدافها وقامت للخوارج دول ببلاد المغرب ذات طابع استقلالي.

لكن هذا لا يغطي عدم وجود تعاون بين فرقتي الصفرية والإباضية وهي آفة موروثه من خوارج المشرق، ولا يعتمد أنها كانت في المغرب من جراء التجمعات القبلية التي اعتمدت عليها كل فرقة ذلك أن المذهبيين الإباضي والصفري انتشرا بين البربر واعتنقت بعض بطون القبيلة الواحدة المذهب الصفري في حين اعتنقت بعضها الآخر المذهب الإباضي كما هو الحال بالنسبة لزناته وهوارة إنما كان عدم التعاون مرده إلا الخلاف الجوهرى بين عقائد كلتي الفرقتين، يحول دون التقائهما، فلم يكن قدوم داعيتي الفرقتين إلى المغرب الإسلامي على ظهر بغير واحد يعني تعاونا مشتركا أو توحيدا للجهود كما توهم البعض، بل اتخذت الفرقتان اتجاها مغايرا فيما اتجه الإباضية إلى الأقاليم الشرقية من بلاد المغرب الإسلامي، يمم الصفرية وجههم شطر الأجزاء الوسطى والقصوى منه وإذا كانت بطون زناته المنتشرة في سائر جهات المغرب الإسلامي مقسمة بين الفرقتين، فلم يقدرها أن تكون همزة الوصل بينهما، وليس من شك في ما حدث من صراع الإباضية والصفرية على القيروان سنة (140هـ/757م) كان من أهم أسباب اضعافهما ووقوعهما لقمة سائغة لجيوش ابن الأشعث.

¹ - حسن حمودة؛ قيام دولة المرابطين، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، د س ن، ص 14.

آفة ثوراتهم أيضا هو عدم اتصالها وتنسيقها مع حركاتهم في المشرق ولو أحكم مثل هذا الاتصال لكانت نتائجها أكثر نجاحا¹.

أما إذا قارنا دور زناتة في ثورات الخوارج الصفرية والإباضية فنجد أنها ساهمت بشكل كبير في ثورات الصفرية متداولة بين مطغرة وزناتة ونفزة وهوارة ومغيلة على التوالي²، بينما يعتبر أسهامها في حركات الإباضية ضئيلا جدا فقد تصدرت هواردة دون منازع تلك الحركات من البداية حتى النهاية³.

ومهما يكن فقد أسفرت ثورات الخوارج عن قيام دولتين ببلاد المغرب الإسلامي أحدهما للصفرية بسجلماسة سنة (140هـ/757م) والأخرى للإباضية بتاهرت سنة (161هـ/778م). نتج عنها مرحلة جديدة من علاقات وتواصل المذهبيين كدولتين ما سنبين تفاصيله خلال الفصل الثاني بعد أن قدمنا في الفصل التمهيدي تعريفا للدولتين الناشئتين.

¹ - محمود إسماعيل عبد الرزاق؛ المرجع السابق، ص- ص، 99 - 103.

² - أنظر؛ ابن الأثير؛ المصدر السابق، ج5، ص70. وابن عبد الحكم؛ المصدر السابق، ص294.

³ - أنظر في تفصيل الثورات، المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، ص83.

المبحث الأول: العلاقات السياسية.

المطلب 1: مواقف سياسية بين تاهرت وسجلماسة.

✓ تقليد عبد الرحمان بن رستم لبني مدرار في اختيار العاصمة:

إن اختيار العاصمتين السياسيتين للدولتين الخارجيتين الرستمية والصفرية المتمثلتين في "تاهرت" و"سجلماسة" فيه من الحنكة السياسية الكثير، فتقليد عبد الرحمان للمدراريين الفرية الذين بنوا عاصمتهم سجلماسة في جوف الصحراء، واستطاعوا أن يكونوا في مأمن من هجمات القوات العباسية، فلا غزو أن عبد الرحمان بن رستم مؤسس الدولة الرستمية قد لاحظ هذا واختار تاهرت الواقعة على تخوم الصحراء والبعيدة عن القيروان مركز أعدائه بنحو تسعة عشر مرحلة ويفصلها عن البحر المتوسط مسيرة ثلاث رحلات وقد اختارها على المدن الشمالية، البحرية منها خاصة وهي كثيرة في المغرب الأوسط لأنه يعلم أن مثل تلك المناطق يسهل لجند الخلافة الوصول إليها فتاهرت تهيم على بلاد المغرب من جهاتها الأربع فلا هي متطرفة جنوباً ولا شمالاً¹.

✓ رواية إسهام الإباضيين في إقامة الدولة المدرارية:

وكما بيّنا فإن علاقة صفرية سجلماسة إباضية تاهرت تبتدئ قبيل إقامة الدولة الرستمية والمدرارية، إذ أن حروب الإباضيين مع الخلافة ممثلة بولاية القيروان، خلقت نوعاً من الاضطراب في منطقة المغرب الإسلامي، شغل الخلافة وسمح لصفرية مكناسة أن يستغلوا نأيهم عن القيروان، فاجتمعوا في جنوب المغرب الأقصى ويستقلوا بأنفسهم، وكانوا زهاء أربعة آلاف مقدمين عليهم "عيسى بن يزيد الأسود" مباشرين العمل لبناء عاصمتهم سجلماسة، وبيت القصيد ذكرى لهذا الحديث بهذا العنصر المدروس، هو التطرق للرواية التي يذكر فيها أن تأسيس سجلماسة يرجع للرستميين، فإن لم يكن هذا خطأً عفويًا، فلم تذكر المصادر التي اعتمدت عليها في هاته الرواية ولا الكيفية التي شارك بها

¹ - إبراهيم بحاز؛ المرجع السابق، ص - ص، 88-89.

الرستميون"، فهل كان أحد أبناء عبد الرحمان بن رستم في تلك المنطقة؟ لأن وضع الإباضية كان حرجا في القيروان في تلك الفترة أو ربما تم ذلك بواسطة جماعة إباضية في منطقة سجلماسة وكانوا على اتصال بعبد الرحمان بن رستم¹.

✓ رواية تسبب الإباضية في مقتل مؤسس الدولة المدرارية والتوفيق في عدم معارضة الخلافة:

لقد حكم "عيسى بن يزيد" زهاء خمسة عشر عاما ثم نقم أهل سجلماسة عليه سنة 155هـ/771م، حسب ما يذكر جودت في كتابه، ومن المحتمل بأن تكون بسبب مشاركته في حصار طبنة السابق ذكره بعد أن اتصل به "أبو قرّة اليفرنى" كما اتصل بغيره من قادة الخوارج وبما أنه حول الاشتراك في الحصار جنبا إلى جنب مع جيوش الخوارج بما فيها الإباضيون، فربما تغلب العامل البشري على العامل المذهبي فشده المكناسيون وقتلوه اعتراضا على مشاركته مع الإباضية، وربما لعب "أبو القاسم سمو بن واسول المكناسي" دورا رئيسيا في هذه النهاية، فقد كان هو الذي بايع عيسى وحمل قومه على طاعته وكان "إباضيا صفريا"، وهذا يشير إلى ضعف تعصبه للصفرية، إذ حين انتقل أمر سجلماسة إليه بعد مقتل عيسى خطب في عمله للمنصور والمهدي، ويبدو أنه ارتأى إمكانية استقلاله بدولته دونما معاداة لبغداد والقيروان فقرر التخلص منه، خاصة وأن موقع سجلماسة المتطرف نحو الجنوب جعله مدينة هاشمية (في بداياتها) أما بالنسبة للدولة الإسلامية، وكل هذا يشير إلى أنه كان يعارض اشتراك جيش سجلماسة في حصار طبنة إلى جانب الإباضيين، ولم يطل تأثير سياسة أبو القاسم على العلاقة بين العاصمتين لأن

¹ - جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص-ص 210-211.

عبد الرحمان بن رستم قد مال إلى مسالمة القيروان ومنذ ذلك الحين لم تعد عدواه تاهرت وسجلماسة لبغداد والقيروان تجمع بينهما¹.

من جهة ثانية، فقد ذكر ألفرد بل: "أن مسلك "عيسى بن يزيد"، إزاء المذهب أسخط أنصاره من الخارجية إلى درجة أنه حدث في اجتماع مجلس عيسى أن قام أبو الخطاب "عبد الأعلى بن سمح المعافري" وهو يماني، وكان داعية مشهورا لمذهب الخوارج في المشرق، ووصف عيسى بأنه منافق وقتل عيسى في الحال"². وهذه العبارة بالغة الأهمية، فهي تكشف عن نفوذ الإباضية في سجلماسة، وأعطت للبعض إجازة اعتبار سجلماسة امتدادا للدولة الرستمية، إلا أنها ستفقد أهميتها كلية إذا علمنا أن أبا الخطاب المذكور الذي شارك في مجلس عيسى ليس هو أبو الخطاب المعافري"، فقد ذكره ابن الخطيب على صورة "أبو الخطاب الصفري الزناتي" وقد انفرد بذكره من بين مشاهير مؤرخي المغرب، وقال عنه بأنه حاكم سجلماسة تحمل أمر إمارتها مدة أربع وعشرين سنة وتوفي سنة 806هـ/191م³، في حين أن أبا الخطاب عبد الرحمان بن السمح المعافري كان يمينيا، وإمام الإباضية في طرابلس، وقتل سنة 144هـ/761م على يد "محمد بن الأشعث" كما سبق وذكرنا، وقد أجمع مؤرخو الإباضية ومن تأثر بهم على هذا الأمر، على أنه من المحتمل أن يكون أبو الخطاب، أو غيره من الزعماء الإباضية قد عرف المنطقة (سجلماسة) في بداية دخوله المغرب⁴.

¹ - جودت عبد الكريم يوسف؛ المرجع السابق، ص- ص 212-213.

² - ألفرد بل؛ الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص 170.

³ - ابن الخطيب؛ المصدر السابق، ص 140.

⁴ - جودت عبد الكريم يوسف؛ المرجع السابق، ص- ص 212-213.

✓ اتباع اليسع بن أبو القاسم لأفكار الرستميين السياسية:

كان اليسع قوي الشخصية حكم 194هـ/128م، إذ بدأ يمارس نشاطا توسيعا فغزى درعة وأخذ خمس معادنها ودوخ بلاد الصحراء وقد ظفر بمن عانده من قبائل البربر وقهرهم وأذلهم، ومع ذلك فهو قد اتخذ موقفا مسالما من الرستميين وربما يعود ذلك الى طبيعة مذهبه فهو وان كان أظهر مذهب الصفرية من الخوارج وقائل عليه إلا أنه كان أيضا "إباضيا صفريا"¹، ويبدو أنه قد استفاد من تاهرت بعض الأفكار، فقد ذكر ابن الخطيب أنه "قسم داخل السور على القبائل" على غرار ما كان متبعًا في تاهرت منذ تأسيسها وهذا النظام انتقل الى اليسع سواء كان بواسطة رحلة أداها إلى تاهرت قبل توليته الإمارة أو عن طريق أتباعه من السجلماسيين².

✓ مساندة الصفرية للثورة على أبو حاتم يوسف بن محمد بتاهرت:

حدث ذلك على عهد "أبو حاتم يوسف بن اليقضان" الذي حكم الدولة الرستمية سنة 281هـ حتى 294هـ³، بعدما ثار عليه محمد بن رباح ومحمد بن حماد اللذين كانا من خاصته قبل أن يتولى الحكم، لكنهما أشارا عليه عندما اشتكى لهما أباه أبا اليقضان بأن يسمح لهما بقتله فظل متوجسا منهم خيفة (وكانا هما من وليا له العقد)، وعندما اعتلى سدة الحكم نفاهما الى مثل يقال له الثلث يبعد ثلاثة أميال عن المدينة، لكنهما امتعضا من ذلك وظلا يرسلان رسولا بعد رسول للمدينة للتحريض عليه، فكان موالوهم من الشيوخ يرسلون له من الجموع الى منفاهما، فما شعر أبو حاتم إلا والجموع الثائرة تدخل المدينة مهللة ومكبرة، فخرج ومن معه الى حصن خارج المدينة وأتته "لواته" مناصرة ونفوسة

¹ - جودت عبد الكريم يوسف؛ المرجع السابق؛ ص214. وأنظر ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص268.

² - ابن الخطيب؛ المصدر السابق ص 143. وأنظر، البكري؛ المصدر السابق، ص 48.

³ - أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر؛ المصدر السابق، ص99. وأنظر، الدرجيني؛ المصدر السابق، ج1، ص84.

وغيرها من القبائل الموالية إلا أن الصفرية الذين كانوا مجتمعين بحصن "تالغمت"¹، فإنهم مالوا لمناصرة أهل المدينة ضد الحاكم ومن والاه، إلا أن أبا حاتم حاصر المدينة من جهات ثلاث، وجرى بينهما كر وفر وولى أهل المدينة عليهم "يعقوب بن أفلح" عم أبو حاتم مستغلين خلافة معه إلا أن أبا حاتم تمكن منهم واستتب له الأمر في النهاية².

¹ - تالغمت هي القرية المعروفة بتلغميت في صحراء الجزائر على الطريق الرابطة بين مدينة الأغواط ومدينة غرداية وتبعد عن هاته الأخيرة بنحو 90 كلم، وهي روة عالية يحيطها كالهالة واد كثير الأشجار، أنظر، ابن الصغير؛ المصدر السابق، ص 94. وأنظر، الباروني؛ المصدر السابق، ج2، ص269.

² - ابن صغير؛ المصدر السابق، ص-ص، 92-101. وأنظر، الباروني؛ المصدر السابق، ج2، ص-ص 269-270.

المطلب 2: الزواج السياسي بين العاصمتين أسبابه وتداعياته.

يذكر ابن خلدون أن اليسع "أصهر لعبد الرحمان بن رستم صاحب تاهرت بابنه مدرار في ابنته أروى"¹، والعبارة واضحة صريحة تكشف عن ارتباط سجلماسة بتاهرت بعلاقة نسب، وبلغت العلاقات بين دولتي مدرار و بن رستم ذروتها على عهد هذين الحاكمين²، ويمكن أن نستشف منها أمورا أعمق فهي تدل على أن اتصالات شخصية مباشرة كانت تتم بين بني مدرار والرستميين وبين السجلماسيين والتاهرتيين عامة أو أن حادثة الزواج هذه تدل على أن اليسع نفسه كانت له سابق معرفة بتاهرت وبالرستميين مما أتاح له فرصة التعرف على أروى فيقبلها شريكه ابنه في حياته وربما تم ذلك قبل توليه الحكم وربما أثناء حكمه والمهم في الأمر أن هذا الزواج يكشف عن طيب العلاقة بين تاهرت وسجلماسة في عهده والذي كانت عهود سابقه مقدمة لهذا الطيب ومن المحتمل من هذا الاتصال بين الأمير عبد الرحمان واليسع أنهما عقدا اتفاقيات أخرى بينهما منها تجارية وسياسية، وأنه عنوان هاته الاتفاقيات واعتباره زواجا سياسيا بامتياز³.

من المحتمل أن يكون مدرار نفسه قد عرف تاهرت وكان على اتصال بأمرائها الرستميين، وأن هذا الاتصال كان وثيقا أتاح فرصة مشاهدة أروى أو سمح له أن ينال موافقة الرستميين على زواجه منها⁴.

ويذكر الباروني رغبة اليسع في هذه المصاهرة فيقول: "...وكان في نفسه العظمة لكثرة الجنود والأتباع وله ابن يعرف بمدرار فلم ير له كفؤا للمصاهرة غير الامام عبد الرحمان وكانت له ابنة تعرف بأروى فخطبها اليسع وبعد أن أظهر الامام العزة والامتناع مع الحاج الخطيب أجابه الى طلبه وزوجها من مدرار ابته ولم يضع للمعترضين والمنكرين عليه،

¹ - ابن خلدون؛ المرجع السابق، ج6، ص 268.

² - شنابت العيفه؛ المرجع السابق، ص 101.

³ - جودت عبد الكريم يوسف؛ المرجع السابق، ص 215.

⁴ - نفسه؛ ص 215.

مؤملاً أن يأتي يوم ما على أولادها ان قدر الله بحملها وهم على مذهبه فيضمهم هو أو خلفه إليه أو تتوقف علائق الوداد بين المملكتين فلا يطرقه منه طارق سوء ولا يأتيه من قبلهم ما يكدر راحته أو يوجب له خلافاً في داخلية إذ كان تحت حكمه من الصفرية ما يعد بعشرات الألوف من المقاتلين الموصوفين بالشجاعة والبسالة، كما أن بسجلماسة من الإباضية مثال ذلك من الفرسان الأشداء ولو حكم القدر بهذه المصاهرة مع قرب الجوار لكانت الحروب بينهم متوالية والفتن متتابعة حيث يطلب كل فريق منهم الانضمام إلى إمام مذهبه ويظهر التظلم حقاً أو باطلاً من مخالفه في المذهب الحاكم عليه وهذا أمر طالما سفكت به الدماء أنهاراً...، وبأمر هذه المصاهرة التي دبرها الإمام كفى شر ذلك كله وكانت العاقبة ما ستره"¹.

ومن خلال قراءتها لهذا النص يتبين لنا بوضوح الأسباب التي جعلت عبد الرحمان بن رستم واليسع يقيمان هاتاه المصاهرة، على الرغم من اعتراض بعض الأطراف.

- توطيد العلاقات بينهما، وتوثيق علائق الوداد.
- تأمين جنب الدولة الرستمية من الخطر الذي أصبح يشكله اليسع والذي كان في مرحلة توسيع الدولة، ولهذا وافق عبد الرحمان بن رستم اليسع إلى طلبه حتى لا يطرقه من طارق سوء ولا يأتيه من قبلهم ما يكسر راحته أو يوجب له قلقاً أو خلافاً في داخلية.
- رغبة اليسع في حليف كفؤ له وسند قوي يرى فيه عظمته ويحمي حدوده الشرقية خاصة عند دخوله في حروب جنوب الصحراء ضد البربر.
- محاولة عبد الرحمان بن رستم تقريب المذهبين وضمهم إليه.

¹ - الباروني؛ المصدر السابق، ج2، ص94.

• محاولة جر دولة بني مدرار إلى التحالف وطيد يكفي الدولتين الأغالبة صنائع العباسيين، مثلما وقع عندما تحالفت الصفيرية والإباضية أثناء خوض عبد الرحمان بن رستم غمار الحرب ضد عمر بن حفص المهلبي¹.

والأرجح أن هاته العوامل مجتمعة هي التي جعلت عبد الرحمان بن رستم واليسع لا يأبهان لرأي المعارضين، وقد تحقق ما سعى إليه عبد الرحمان اذ حتى في أحلك الظروف التي مرت بها الدولة الرستمية في أواخر عهدها لم يحاول بنو مدرار استغلال أزماتها السياسية للتوسع على حسابها².

وإذا كان عبد الرحمان بن رستم قد استطاع الوصول لأهدافه، فان الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لليسع، اذ كان عبئا وعلى أبنائه من بعده، اذ فتحت منفذا للتدخل السياسي للرستميين في شؤون الامارة الصفيرية، ذلك ولأنه كما ذكرنا كان مؤملا أن يأتي يوم على أولاد أروى ان قدر الله حملها وهم على مذهبه فيضمهم هو أو خلفه³.

وتفصيل ذلك نراه في ما يذكره الباروني فيقول: "كان من قدر الله وقضائه ان حصلت الألفة وحسن العشرة والوفاق التام بين الزوجين المتباينين مذهبا ومشربا المتباعدين دارا ونسبا (مدرار وأروى) وحملت أروى ووضعت ولدا سموه ميمونا وكان لزوجها ولد آخر من البغي⁴ اسمه ميمون أيضا ولما مات والد مدرار تولى هو أمر الصفيرية" سنة 208هـ وتلقب بالمنتصر وطالت ولايته فكان مع الرستميين في ولاء ومسالمة لجانب المصاهرة ولشغفه بزوجه أروى، مع ما رآه في ابنها ميمون من الكفاءة حدثته نفسه بتسليم أمر مملكته إليه في حياته ولما أحس ابنه ميمون الثاني بذلك أوعز إلى رؤساء الصفيرية

¹ - شنابت العيفه؛ المرجع السابق، ص 102.

² - نفسه؛ ص 104.

³ - الباروني؛ المصدر السابق، ج 2، ص 94.

⁴ - يذكرها البكري والمراكشي بإسم "تقية". أنظر، البكري؛ المصدر السابق، ص 150. وأنظر، المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 157.

ومقدميهم بذلك فهاجوا وماجوا واضطربت أقوالهم واستعظموا الأمر خوفا من انضمام ملكهم الى ملك بني رستم ومن سيادة الإباضية عليهم في المملكتين قنار ميمون ما كان من الفتن والمقاتلات...¹، ويبدو أن هذا الخلاف يمثل صراعا بين الموالي للرستميين ممثلين بميمون بن أروى وبين المحافظين على استقلالهم وعدم الانقياد لجهة ما ممثلين بن مدرار، والمهم في الأمر، أن مدرار والدهما قد مال مع ابنه ميمون من الرستمية وأخرج أخاه ابن تقيّة من سجلماسة²، وهذا الموقف أعمق مما قد يبدو لأول وهلة، من أنه نصره ابن علي ابن، انه يعني نصرته للتيار الموالي للرستميين مما يؤكد على سياسة مدرار تجاه هؤلاء وعلى طيب تلك السياسة وما لبث أهل سجلماسة أن خلعوا ميمون بن أروى أعادوا مدرار إلى الحكم وتمكنوا من إخراج ميمون بن أروى من سجلماسة إلى درعة³، ثم أخرجوا أباه وأمه إلى بعض قرى سجلماسة، لأنه فكر مرة أخرى في تولية ابن أروى قناروا عليه وعزلوه وولو ميمون بن تقيّة وقد دام هذا الصراع حوالي 3 سنوات⁴.

وعلى كل يمكن أن يكون تأثير مدرار مسار العلاقة بين تاهرت وسجلماسة قد امتد حتى وفاة أجله، وقد كان معاصرا للإمام أفلح الرستمي، الذي كان تاجرا وبهذا كان من المحتمل بأن تكون التجارة هي عصى العلاقة بين العاصمتين، الأمر الذي يفرض استمرارها حتى في فترة استبداد ابن تقيّة الى حين وفاته سنة 263هـ/876م⁵.

وكما أوردنا فان حكمه يتميز بالاستبداد والسيطرة ومواجهة فتن الإباضية الذين هاجروا إلى درة مساندة لميمون ابن الرستمية من أجل الضفر بالإمارة، ولم تشهد العلاقات

¹ - الباروني؛ المصدر السابق، ج2، ص 5.

² - المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، ص157. وأنظر، ابن الخطيب؛ المصدر السابق، ص 143.

³ - المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، ص157.

⁴ - أبو العباس احمد القلقشندي؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دط، ج5، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1913م، ص- ص 166-167.

⁵ - المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، ص 157.

الاستقرار إلا بتولي ابنه محمد سدة الحكم سنة 224هـ/838هـ حتى 231م/844م¹. وقد أشار إليه سليمان الباروني فذكر أن اضطرابات ابن تقيّة ومن تبعه من الصفيرية كان خوفاً من انضمام ملكهم إلى ملك بني رستم².

فهل كان الرستميون وراء تلك الأحداث؟ وهل كان للأمين أروى وتقيّة دور في ذلك؟ وعلى أية حال، ليس من المتوقع أن يكون طراً تغيير على تلك العلاقة في فترة حكم محمد بن ميمون التي دامت سبع سنوات فقد كان مشغولاً بحروب القبلة (الجنوب) فغزاها وملك مدينة تافيلالت، كما كان إباضي المذهب³.

لم يكن وجود علاقات سياسية بين البلدين، قائمة على الود والمسالمة يعني وجود أطماع سياسية إذ أن كلا منهما لم يكن يشغله أمر الطرف الآخر إلا بمقدار ما يؤثر على مصلحته، وبذلك موقف "اليسع بن مدرار المنتصر (231-255هـ / 844-869م) من أحداث الفوضى التي شهدتها تاهرت أواخر أيام الرستميين، فلم يذكر أحد من المؤرخين أنه حاول استغلال تلك الفوضى لكي يوسع حدود دولته فاستكثر من الجيوش وعزم على غزو مطغرة⁴، علماً بأن سجلماسة لا تبعد عن تاهرت أكثر من عشرة مراحل، بل أن موقفه من هجوم أبو عبيد الله الشيعي⁵ على تاهرت، يزيد سياسته تجاه الرستميين وضوحاً فهو لم يحاول أن يحرك ساكناً وليس هناك ما يشي إلى أنه قدم أي مساعدة

¹ -- محمود إسماعيل عبد الرزاق؛ المرجع السابق، ص127.

² -- الباروني؛ المصدر السابق، ج2، ص95.

³ -- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص269.

⁴ -- جودت عبد الكريم يوسف؛ المرجع السابق، ص217. وأنظر، ابن الخطيب؛ المصدر السابق، ص145.

⁵ -- هو عبيد الله بن محمد الحسن بن عبد الله إسحاق بن الفرات بن دينار، أصله من إيبيورد، اختلف العلماء في إسمه فمنهم من سماه الحسين، واختلفوا في أصله لكن أغلبهم ذكر انه من صنعاء، وصل المغرب رفقة حجاج كتاميين بهدف نشر الدعوة الشيعية، وكان له دور كبير في نشأة الدولة الفاطمية بالمغرب وقوتها هناك، توفي 298هـ/911م. أنظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص362. وأنظر، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان؛ وفيات الأعيان، تح احسان عباس، دط، ج1، دار صادر، بيروت، د س ن، ص443. وأنظر، أبي سعيد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني؛ الأنساب، ط1، ج3، د ب ن، 1998م، ص5414. وأنظر، علي حسني الخربوطلي؛ أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، دط، د د ن، د ب ن، 1972م، ص- ص، 13-14.

لتاهرت أو حاول التحالف معها قد يعود هذا لسرعة الشيعة في قضاء أمره في تاهرت ولعدم بلوغه خبره في الوقت المناسب، وحتى لو كان كذلك فإن اهماله لأخبار الشيعة خاصة وهو يحتفظ بعبيد الله المهدي¹ سجيناً عنده، يدل على أن نظره لم يكن يمتد أبعد من حدود دولته، وما لبث أن وصله المد الشيعة سنة 297هـ/909م، وقتل على أيديهم وولوا إبراهيم بن غالب المزاتي، لتنتهي مرحلة هامة من مسار العلاقات الصفيرية الإباضية بسقوط الدولة الرستمية على يد الشيعة الفاطميين وتراجع الصفيرية بدخول الدولة المدرارية مرحلة الضعف والانحلال بعد مقتل اليسع بن مدرار التدخل الشيعة بها، وتولي محمد بن الفتح بن الأمير الميمون الذي أوقف الدعوة الشيعية والصفيرية والإباضية وأقام البلاد على المذهب السني المالكي وأقام الخطبة باسم بني العباس وظلت الدولة المدرارية في خضم الفتن والاضطرابات خاصة الشيعة حتى سقطت على يد الزناتيين².

المبحث الثاني: العلاقات التجارية والاقتصادية.

¹ - هو عبيد الله بن الحسين المهدي، الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإسماعيلية، مؤسس الدولة الفاطمية وأول حاكم عليها، وهو عراقي الأصل ولد بالكوفة سنة 260هـ، استمر في الحكم إلى أن توفي سنة 233هـ. أنظر تقي الدين أحمد بن علي المقرئ؛ إتحاف الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح جمال الدين الشيال، ط2، ج1، القاهرة، 1416هـ/1996م، ص- ص 60-66. وأنظر، علي محمد الصلابي؛ الدولة الفاطمية، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ص- ص 48-49.

² - البكري؛ المصدر السابق، ص151. وأنظر، ابن الخطيب؛ المصدر السابق، ص148. وأنظر، ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص174.

المطلب 1: الطرق الرابطة بين العاصمتين الصفرية و الإباضية.

إن مدينتي تاهرت وسجلماسة بحد ذاتهما تعتبران من أكبر وأهم المراكز التجارية والاقتصادية خلال الفترة الوسيطية عامة وإبان القرنين المدروسين خاصة، فإضافة للطرق الرابطة بينهما، احتوتا على شبكة طرق داخلية جعلت منها عقدة حيوية للنشاط التجاري سواء على المستوى المحلي أي داخل المغرب أو على المستوى العالمية، فهما مركزان تجاريان واقتصاديان مهمان للغاية في تلك الحقبة.

ترتبط تاهرت العاصمة الرستمية بالعاصمة الصفرية سجلماسة بطريق يسلك بين القبلة والغرب نحو مدينة تعرف بأوزكا، على بعد ثلاث مراحل من تيهرت ومن أوزوكا مغربا نحو سجلماسة سبع مراحل أو نحوها حسب الجد والتقصير في المسير فتلك اذن عشرة أيام تقريبا تسلك في قرى غير أهلة وبين أراض صحراوية قفراء¹، الا أن الفرق الشاسع جدا بين ما ذكره اليعقوبي وما أثبتته الاضطخري جملة دون تفصيل، عندما قال: "ومن تاهرت الى سجلماسة نحو خمسين مرحلة"²، يبدأ أنه يقصد هنا الطريق التي تعبر من خلال مدينة نكور، في أقصى شمال المغرب الأقصى ومنها نزولا نحو سجلماسة وهذا هو الطريق الذي ذكره المقدسي و يستغرق المسير فيه نحو خمسة وأربعين يوما مقسمة إلى ثلاثين مرحلة تربط نكور بتاهرت، ثم خمسة عشرة مرحلة أخرى تربط سجلماسة بنكور، ويبدو أن التاجر، لم يكن ليتخذ هذا المسلك الثاني لطوله الممل تاركا الطريق الأقرب، خاصة اذا كان يقصد سجلماسة أو عكسيا تيهرت دون غيرها من المدن³.

وقد ذكر الإدريسي، طريقا آخر، إذ أن القوافل تسير من تاهرت إلى تلمسان ثم من هذه الى قرية "تارو" فجبل تامديت ومن هناك الى غايات ثم إلى صدرات فجبل تيوي، ثم إلى فتات بئر ثم إلى شعب الصفا ومنه إلى تتدلي فقرية تمسناق ومنها إلى تقريت ثم الى

¹ - اليعقوبي؛ المصدر السابق، ج7، ص 109.

² - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي؛ المسالك والممالك، دط، دار صادر، بيروت، 2004م، ص37.

³ - المقدسي؛ المصدر السابق، 247.

سجلماسة، وهو يقدر المسافة بين تلمسان وسجلماسة بأربعة وعشرين مرحلة وبذلك فإن المسافة بين تاهرت وسجلماسة تقدر بثمانية وعشرين مرحلة، ويذكر الإدريسي أن استعماله قليل لأنه مفازة¹.

وقد كلن هناك طريق غير مباشر يسلكه التجار الى سجلماسة فتسير القوافل من تاهرت إلى فاس ومنها الى سجلماسة ويبدو أن هذا الطريق كان متبعا فذكر ابن أبي زرع أن "الإمام إدريس" بني باب الفوارة، من جهة القبلة للجزء الأندلسي من فاس ومنها يخرج الى مدينة سجلماسة²، ويذكر الحموي أن الطريق من فاس إلى سجلماسة عشرة أيام، وذكر الإدريسي أن القوافل تسير من فاس إلى صفروي إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة، وعلى كل فان هذا الطريق بين تاهرت وسجلماسة مرورا بفاس يبلغ حوالي خمسة وعشرين مرحلة³.

ومن الممكن القول بوجود طريق بحري يربط بين العاصمتين فقد ذكر اليعقوبي أن القوافل تخرج من سجلماسة إلى إقليم درعة، ومدينته الكبرى تادملة، ثم تخرج القوافل من تادملة إلى مدينة يقال لها السوس الأقصى، مسير أربعة أيام ومن هناك إلى بلد أغمات ثم إلى "ماسة" وهي قرية على المحيط، تحمل إليها التجارات ويركب منها إلى الصين ومن المحتمل أن مراكب تاهرت في مرسى فروخ قد وصلت ماسة وبذلك وضعنا هذا الاحتمال⁴.

¹ - الشريف الإدريسي؛ صفة المغرب (المغرب وارض السودان ومصر والاندلس)، دط، مطبعة برييل، ليدن، 1893م، ص82.

² - ابن أبي زرع الفاسي؛ الأنيس المطرب روض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دط، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 20.

³ - شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت بن عبد الله الحموي؛ معجم البلدان، د ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ص41. أنظر الملحق رقم 3.

⁴ - جودت عبد الكريم يوسف؛ المرجع السابق، ص226.

ويمكن القول أن تاهرت كانت بوابة سجلماسة إلى الشرق فالتجارة عامة ومنهم الشرقيون القادمين من ناحية القيروان كانوا قد عبروا تاهرت في طريقهم إلى سجلماسة وكذلك التجارة القيروانيون وكان الى جانب هؤلاء تجار سجلماسيون ك"حماد بن يحي" وغيره ممن لم يذكره المؤرخون¹، وقد ذكر أن أبا عبيد المهدي هرب من طرابلس إلى قسطنطينية وكان معه رجال من بلدان المغرب والزاب وسجلماسة وكان هؤلاء تجارا، والمهدي متخفي بينهم في زيّ التجار وبالتالي فالتجار السجلماسيون قد عرفوا تاهرت وأسواقها وقد يكونون إباضيين سجلماسيين، لكنهم من تجار تاهرت المقيمين بها للتجارة².

¹ - نفسه؛ ص 227.

² - القاضي النعمان؛ **إفتتاح الدعوة**، تح فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، د س ن، ص 52.

المطلب 2: المنتجات والحركة التجارية.

ان تجارة القوافل التي كان لها دور كبير في الازدهار الاقتصادي الذي عرفته سجلماسة وتاهرت وخاصة الأول في الذكر¹، فهي بلاد صحراوية تقع في ظل جبال الأطلس المغربية التي تمنع عنها المؤثرات المحيطية فكانت منطقة جافة سوى من بعض الأودية الفصيلة وهذا يعني فقرها في الإنتاج الزراعي ويؤكد اليعقوبي هذا فيحصر زرعهم في "الذرة"²، لكن هذا لا يتوافق مع ما يذكره المقدسي بأنها كثيرة التمور والأعناب والزبيب والفواكه والحبوب والرمان والخيرات³، ويتجهز منها إلى سائر بلاد المغرب وغيرها وقد يفسر وجود هذه الثروة الزراعية وقوع سجلماسة على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل فيزرع بمائة حسب زرع مصر في الفلاحة⁴. لكن تظل رواية اليعقوبي هي الأرجح فهو الذي عاصر المدرايين ووصف زرعهم بأنه على الأمطار لقلة المياه عندهم فان لم يمطروا لم يكن لهم زرع⁵.

وكما يبدو أنها قليلة الإنتاج الصناعي مرتكزة على صناعة الصوف إذن فسبب نشاط الحركة التجارية في سجلماسة هو دورها كمنطلق من المغرب الإسلامي باتجاه جنوب السودان، مما كان السبب في أرباح عظيمة جلبت إليها التجار، فحملوا إليها سلع الشرق ومنتجات المغرب وبذلك فمن المحتمل أن فواكه تاهرت وصلت إليها فقد كانت مركزا لمبادلاتهم التجارية والتزود منها للانطلاق نحو الجنوب وفي عودة التجارة من السودان كانوا يضربون بها من الذهب والدنانير⁶.

¹ - محمد زنيير؛ المغرب في العصر الوسيط، الدولة - المدينة - الاقتصاد، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999م، ص 404.

² - جودت عبد الكريم يوسف؛ المرجع السابق، ص 288.

³ - المقدسي؛ المصدر السابق، ص 123.

⁴ - ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 90.

⁵ - اليعقوبي؛ المصدر السابق، ص 359.

⁶ - أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي؛ أخبار الزمان ومن أباده الحدثن وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، ط1، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي، مصر، 1357هـ/1938م، ص 66.

وقد عملت تاهرت بسياسة أئمتها وبازدهارها الاقتصادي وبمراقفها العامة من حمامات وخانات الى غير ذلك من العوامل على تنشيط الحركة التجارية في جميع الاتجاهات بما فيها سجلماسة وساعد وجود نظام الصرافة على ازدياد دور التجار الأجانب في العلاقة التجارية، ويفهم من عبارة ضرب الذهب والدنانير أنهم كانوا يستعملونها في أعمالهم التجارية¹.

اذن نستطيع القول أن العلاقات التجارية كانت نشيطة الى درجة كبيرة بين الدولتين لأن طريق التجارة الرستمية الى بلاد جنوب الصحراء يمر بسجلماسة²، فيقول البكري "ومن مدينة سجلماسة تدخل الى بلاد السودان الى غانا وبينهما وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة"³، وكانت القوافل التجارية الرستمية تغدو ذاهبة آية تعبر سجلماسة أو تستقر فيها، تحمل من سجلماسة أنواع التجارات والمنتجات الى الدولة الرستمية ومن هذه المنتجات الزراعية التي في سجلماسة مثل الكمون والكروياء والحناء، كما تنقا هذه القوافل الأرز المصنوعة في سجلماسة والتي تفوق في جودتها القصب التي تصنع في مصر ويحمل أيضا من سجلماسة ثمار شجر التاكوت الذي يستخدم في دبغ الجلد الغدامسي في غدامس، على أن أهم السلع التي كانت تسعى اليها هذه القوافل هي الذهب الذي كانت تحمله من غانة وتجنبي من ورائه ثراء كبيرا، كان له أثره في ازدهار دولة الرستمين⁴.

ومما دعم ذلك هو اهتمام الرستمين بفرض الضرائب الشرعية التي حددها الإسلام ولم تذكر المصادر أنهم فرضوا المكوس على التجارة كما أنها لم تشر إلى أنهم جبوا ضريبة غير شرعية تثقل كاهل الناس، فهذه تؤدي إلى ارتفاع الأسعار وضعف القوة الشرائية

¹ - جودت عبد الكريم يوسف؛ المرجع السابق، ص- ص، 228-229.

² - ممد عيسى الحريري؛ المرجع السابق، ص87.

³ - البكري؛ المصدر السابق، ص 149.

⁴ - محمد عيسى الحريري؛ المصدر السابق، ص209.

وكساد الأسواق وبذلك ضعف التجارة والتخفيف منها يضاعف الانتاج ويرفع مستوى الرخاء فتتشط الحركة التجارية¹.

هكذا يتضح أن علاقة نشطة ربطت سجلماسة بتاهرت ويبدو أنها قد أثمرت بالنسبة للطرفين، فقد عاشت سجلماسة في جو يسوده الأمن والاستقرار وهذا من العوامل الضرورية لازدهار البلاد كما ضمنت سجلماسة تدفق التجار باعتبارها محطة على الطريق التجاري الى بلاد السودان كما ذكرنا، كما أن تاهرت تقف سدا أمام سجلماسة باتجاه الشرق ولكي يتضح احكام هذا السد، يكفي تذكر أنه حدود الدولة الرستمية تمتد جنوبا الى أن تشمل ورقلة وهكذا لو تعكر الجو بين العاصمتين لكان بإمكان تاهرت أن تطبق الحصار على سجلماسة، لكن هذا لم يحدث لأن تاهرت من جهتها كانت بحاجة أن يسود السلم بينهما لكي تؤمن طريق تجارتها الى بلاد السودان وبالفعل قد نجحت في ذلك².

¹ - جودت عبد الكريم يوسف؛ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10هـ)، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س ن، ص- ص، 126-127.

² - جودت عبد الكريم يوسف؛ العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص- ص 230-231.

المبحث الثالث: علاقات اجتماعية وثقافية ودينية.

لا مناص من التعرض لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية من جانب علاقات العاصمتين الرستمية والمدارية، لكن ندرة أو انعدام المعلومات الواردة خلال الفترة المدروسة حول العلاقات الاجتماعية، جعلتني أحور الموضوع إلى تأثير علاقاتها وخاصة التجارية على الجانب الاجتماعي لأنها تحوي منحرجات مهمة تعطينا صورة عن الحياة الاجتماعية للعاصمتين.

المطلب 1: تأثير علاقتهما على الوضع الاجتماعي.

لقد تواجد رعايا كلا المذهبين في العاصمة الرستمية والمدارية، فالإباضية كانت لهم مواقع في سجلماسة بل كان لهم نفوذ وسطوة أحيانا فالأمراء المداريون ذاتهم تأرجحوا بين المذهبين الإباضي والصفري وعندما تمت المصاهرة بي البيتين المداري والرستمي كما ذكرنا زاد معه نفوذ الإباضية بسجلماسة¹، وتاهرت لم تخل من وجود أقلية صفرية لها وزنها².

لكن النقطة الأبرز في تأثير العلاقات التجارية بين تاهرت وسجلماسة على العلاقات الوضع الاجتماعي هي التغيير الكبير في التركيبة الاجتماعية في العاصمتين وظهور فئة التجار، إذ أن تجمع الثروات الذهبية في مراكز التجارة الشهيرة والتقدم العمراني الكبير واستقرار فئات اجتماعية جديدة وعلى رأسها تاهرت وسجلماسة، أدى إلى ترف اجتماعي سنأتي على ذكره، وأصبح التجار يمثلون فئة اجتماعية جديدة في المجتمع³، وخاصة سجلماسة فقد كانت تبدو عليها مظاهر البداوة وبساطة العيش، فيصفها ابن حوقل فيقول: "...وما عداه وأوغل في براري سجلماسة وأودغشت ونواحي لمطة وتادمكة إلى الجنوب

¹ -شنايت العيفه؛ المرجع السابق، ص173.

² - خالد احمد صالح؛ الإباضية تعاليمهم وانتشارهم في المغرب العربي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم السياسية، العدد الأول، 2011م، ص126.

³ -الحبيب الجنحاني؛ المجتمع العربي الإسلامي(الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، دط، مطابع السياسة، الكويت، 2005م، ص166.

ونواحي فزان، ففيه مياه عليها قبائل من البربر المهملين الذين لا يعرفون الطعام ولا رأوا الحنطة ولا الشعير ولا شيئاً من الحبوب والغالب عليهم الشقاء والانتشاح بالكساء وقوام حياتهم باللبن واللحوم"¹، لكنه بعد أن يزور المدينة سنة 340هـ، يقول عنها "...وأهلها قوم سراة مياسير يباينون أهل المغرب في المنظر والمخبر مع العلم وستر وجمال واستعمال للمرورة وسماحة ورجاحة" ثم يواصل وصفة للزدهار التجاري وخلق الأهالي قائلاً: "...مع تجارة غير منقطعة منها إلى بلد السدان وسائر البلدان وأرياح متوافرة ورفاق متقاطرة وسيادة في الأفعال وحسن كمال في الأخلاق والإعلام يخرجون برسوم عن دقة أهل المغرب في معاملتهم وعاداتهم ال عمل بالظاهر كثير، وتقدم في أفعال الخير شهير وحنو بعض على بعض من جهة المرورة والفتوة وان كانت بينهم الاحن والتراث القديمة تواضعوها عند الحاجة، وأطرحوها رئاسة وسماحة وكرم وسجية تخصهم وأدب نفوس وقف عليهم بكثرة أسفارهم وطول تغربهم عن ديارهم وتعزيهم من أوطانهم، ودخلتها سنة أربعين فلم أر بالمغرب أكثر مشائخ في حسن سمت وممازحة للعلم وأهله الى سعة نفوس عالية وهمم سامقة، سامية"².

إن نصي ابن حوقل المذكورين يكشف بوضوح مظاهر الترف والتقدم الاجتماعي الذي بلغته سجماسة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، إضافة إلى ما لحمننا إليه من زيارة عنصر التجارة الى التركيبية الاجتماعية الذين اختلفت جنسياتهم من البصرة والكوفة وبغداد وتجار من مدن المغرب الأخرى و الأندلس كذلك ونجد أيضا إلى جانب هاته الأقليات أهل الذمة وخاصة اليهود،³ وهكذا أصبح شائعا في المدينة وأثرت التجارية في مبانيها وفنها المعماري وفي الحياة الاجتماعية التي عرف ألوانا من الترف وتغير حياة الرجل في البوادي الصحراوية، وإن ما نأمله من عثور الدارسين يوما ما على كتب طبقات علماء

¹ - ابن حوقل؛ المرجع السابق، ص84.

² - نفسه؛ ص90.

³ - الحبيب الجحاني؛ المرجع السابق، ص167.

سجلماسة والمصنفات المذهبية والفقهية التي ألفتها دعوة الخوارج الصفيريين بسجلماسة سيسمح بالمزيد من التعرف الدقيق الشامل إلى الحياة الاجتماعية في هذه المدينة التي تبوأَت مكانة بارزة في عصور ازدهار المغرب الإسلامي.

أما عن تاهرت فقد كان تطور الحركة العمرانية والاجتماعية أكبر، نتيجة ازدهار اقتصادها وخاصة تجارتها، بعد أن كانت في بداية أمرها مدينة متقشفة متواضعة، إذ يذكر أن وفدا من البصرة وصلها ليقدم إعانة لعبد الرحمان بن رستم، فسألوا عن مقره فوجدوا غلاما أمام بيت متواضع يعجن طينا وابن رستم على السطح يصلح شقوقه والغلام يناوله ما يصلح، ولكن لما عاد الوفد مرة ثانية حاملا الإعانة أخرى وجد المدينة قد تغيرت فقد بنيت القصور وانتشرت البساتين وغزت المدينة مظاهر الترف فيقول ابن الصغير: "... ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الموات وغرس البساتين وإجراء الأنهر واتخاذ المستقلات، واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها"¹، وهاجرت إليها فئات اجتماعية جديدة من المشرق (عراقيين وفارسيين) ومن العيد من الأمصار ومن مدن مغربية أخرى²، لكن بيت القصيد هنا هو ظهور الفوارق بين المدينة والريف أو الصراع الريف مع المدينة، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن تاهرت كانت السابقة إلى تلك التغيرات الاجتماعية والأبته العمرانية والسكانية، وإن الصفيريين مثلوا القبائل الصحراوية الريفية، فقد يكون ظهر ذلك على الرعايا الصفيرية في تاهرت والقبائل المتاخمة للمدينة الرستمية ومهما كان أمرهم فقد شكل رابطا بين تاهرت وسجلماسة³.

¹- ابن الصغير؛ المصدر السابق، ص 12.

²- الحبيب الجنحاني؛ المرجع السابق، ص- ص 122-124.

³- جودت عبد الكريم يوسف؛ العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص-ص 121-122.

المطلب 2: علاقات ثقافية ودينية.

على الرغم من أن المؤرخين يجمعون على أن سجلماسة و تاهرت كانتا آنئذ من المراكز الثقافية الكبرى ووفد إليها طلاب العلم من سائر أنحاء المغرب، إلا أننا نصطدم بقلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن الأوضاع الفكرية والعلمية في سجلماسة، ذلك أن توالي الحروب وعدم الاستقرار السياسي الذين عرفتهما المنطقة أواخر فترة موضوع البحث نتج عنها إتلاف الكثير من المؤلفات ووفاة الكثير من العلماء ومن ذلك تخريب جيش عبيد الله المهدي للمكاتب وإتلافه لها بسبب الخلاف المذهبي الصارخ وقتله للعلماء¹. إن التبادل الثقافي والديني بين تاهرت و سجلماسة تبدي جليا في وجود كلا المذهبين في العاصمتين، فمن الملاحظ أن المذهب الصفري لم يظل هو المذهب السائد في سجلماسة، فنجد أن الحاكم المدراري "أبو القاسم سمكو" كان إباضيا صفريا²، ويبدو أن ابنه الياس أخذ مذهبه عنه فكان إباضيا صفريا، وكذلك اليسع بن أبي القاسم كان إباضيا، وإن هذا يدل على عدم وضوح مذهبه³، وكان خلفاؤهم من بعدهم على وتيرتهم من غموض المذهب وكان خلفاؤهم من بعدهم على وتيرتهم من غموض المذهب وكان غير واضح المعالم تماما⁴، ولعل تردد أبو القاسم سمكو بين المذهبين الصفري و الإباضي له أكثر من مبرر فالدولة على عهده حديثة النشأة وهي بحاجة ماسة إلى الاستقرار بين الطوائف خاصة وأن سجلماسة كانت تعج بالحاجيات المختلطة ومنها الإباضية، وهناك مبرر آخر لهذه السياسة وهو محاولة كسب ود الرستميين تجنباً لأي تحريض على شق عصا الطاعة من طرف إباضية سجلماسة الذين يبدو أنهم على ود كبير مع أئمة تاهرت الرستميين لدرجة أنهم كانوا يتوجهون بزكاتهم اليهم⁵، فالمصادر الإباضية تذكر أن

¹ - عدون جهلان؛ المرجع السابق، ص- ص 163-164.

² - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص268.

³ - جودت عبد الكريم يوسف؛ العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص218.

⁴ - ألفرد بل؛ المرجع السابق، ص128.

⁵ - شنابت العيفه؛ المرجع السابق، ص57.

الإباضية بسجلماسة كانوا يبعثون بزكاتهم الى عبدة الاعرج يصرفها حيث شاء، يذكر ابن الصغير في كتابه أخبار الأئمة الرستميين قائلا: "...منهم رجل يعرف بأبي عبدة الأعرج كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم مسلمون له في الورع إذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدورا عن رأيه، وقد رأيت أنا هذا الرجل وجلست إليه فما رأيت في سود الرؤوس رجلا أخشع منه... وكان أبو عبدة هذا عالما بالفقه والكلام والوثائق والنحو واللغة وكان مع ديانتته حسن الأدب والمروءة، وقد أتيتته يوما أسمع منه كتابا... وكان المغرب كله مفتونا بهذا الرجل... وكان أكثرهم لا يحج إلا باستئذانه وكانت المرأة تبعث بابنها أو ابنتها يأخذ لها الإذن منه..."¹.

إن هذا الغموض المذهبي في عاصمة بني مدرار يؤدي إلى القول أنه لم يكن هناك تعصب للمذهب الصفيري وهذا دليل ضعف تأثير الاختلاف المذهبي بين العاصمتين على مجرى العلاقة باتجاه يسيء إليها، ويمكن أن يكون دليلا على هذا أن أبا القاسم سمكو كان يخطب في عمله للمنصور والمهدي، ويبدو أن أمراء سجلماسة استمروا على هذه السياسة تجاه العباسيين إلى حين سقوط عاصمتهم، وهم يبدون بهذه السياسة تجاه العباسيين إلى حين سقوط عاصمتهم، وهم يبدون بهذا الموقف وكأنهم تخلوا عن خارجيتهم وإذا صح أنهم وصلوا بتساهلهم المذهبي إلى هذه الدرجة، فيمكننا أن نقلل من تأثير الناحية المذهبية على العلاقة السياسية بين تاهرت وسجلماسة².

وكما ذكرنا فقد كان في سجلماسة جماعة تعتقد المذهب الإباضي إلى جانب أمراء إباضيين، إلا أن ابن الصغير لم يذكر عدد هؤلاء إلا أن ذكره لهم يدل أنهم كانوا جماعة لا بأس بعددها، كما أن ابن الصغير لم يذكر ان كان هؤلاء قدموا من تاهرت إلى سجلماسة، أو أنهم مواطنون سجلماسيون ومن المحتمل قياسا على وجود الإباضية في

¹ - ابن الصغير؛ المصدر السابق، ص-ص 82-84.

² - عبد الكريم جودت يوسف؛ العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص218.

المغرب الأقصى، ووجود الشرارة في المنطقة بين السوس واغامت وفاس¹، أن يكون دعاة الإباضية قد وصلوا منطقة سجلماسة فنشروا المذهب الإباضي إلى درجة ما وربما كان منهم من أخذ المذهب عن دعاة الإباضية الذين كانوا منتشرين في أنحاء المغرب، فان أبا القاسم سمكو لقي عكرمة في القيروان²، ومن المرجح أن وجوده هناك قد أتاح له فرصة الجلوس إلى سلمة بن سعد داعية الإباضية وأخذ العلم عنه هذا بالإضافة إلى أنه من المحتمل أن بعض التاهرتيين قد وصلوا سجلماسة لدوافع مختلفة فكانوا دعاة للمذهب فيها³.

من ناحية أخرى فقد ذكر ابن حوقل أن سجلماسة سكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون⁴، وكانت قوافلهم بأولادهم غير منقطعة وقد أشرنا إلى أن بعض تجار البصرة خصوصا، كانوا إباضية وبذلك يكون من المرجح أن هؤلاء التجار قد نقلوا الفكر الإباضي إلى سجلماسة ومادام تجار تاهرت ساروا بقوافلهم إليها فقد شاركوا بدورهم في نقل المذهب وكانت محصلة هذه الجهود ظهور جماعة إباضية في سجلماسة وظهور الفكر الإباضي هناك⁵.

كذلك لم تخل تاهرت من وجود أقلية من الخوارج الصفيرية لها وزنها وقد استقرت غالبيتهم في حصن "تالغمت" المشرف على المدينة كما ذكرنا سابقا وبما أن الدولة الرستمية كانت إلى حد بعيد دولة الحرية الفكرية و حرية الاعتقاد وحرية الكلام في حدود الدين الإسلامي العظيم، إذ كانوا يحترمون كل المذاهب الإسلامية التي تحالف الدين وكانت تعيش في تاهرت كل المذاهب، على رأسها الصفيرية وكان فيها المالكية والمعتزلة

¹ - ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص99.

² - السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص112. وأنظر، مؤلف مجهول؛ مفاخر البربر، در وتح عبد القادر بوباية، ط1، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م، ص48.

³ - جودت عبد الكريم يوسف؛ العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص219.

⁴ - ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص65.

⁵ - جودت عبد الكريم يوسف؛ العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص220.

ومذهب أهل الكوفة والعراق وكل المذاهب الإسلامية الموجودة في المشرق إذ كانوا يجدون في تاهرت حرية عرض مذاهبهم¹.

ويبدو أن مواقف الفرقتين المذهبية وعلى رأسها رأيهم المخالفين وأن دارهم دار حرب قد تغيرت (تغير رأيهم نحو الخلافة ودعوتهم لها في زمن لاحق) أي ابتعادهم عن مبادئهم السياسية فيما بعد، فقد التأمّت الهوة بين المذهبيين وازداد التقارب، فعاش هؤلاء إلى جنب يمارس كل حياته الخاصة، مثلما كانوا يعيشون في القيروان كان يظلمهم مسجد واحد يتلقون فيه علومهم².

ولعل من أبرز نتائج التسامح الديني والمذهبي وما صاحبه من تعايش بين مختلف المذاهب الفقهية والعقائدية هو إقامة المناظرات ومجالس الجدل بين الخوارج والواصلية من جهة وبين الخوارج أنفسهم من جهة ثانية، ولا شك أن موضوعات الجدل والمناظرات التي كانت تشغل بال العلماء في المغرب الإسلامي هي ذاتها تلك التي كانت موضوع الساعة وقتئذ في العالم الإسلامي كله كقضية الإمامة وصفات الله وأفعال العباد وما فيها من جبر واختيار ومسألة خلق القرآن زيادة على النوازل الفقهية المحصنة³.

اذن نستطيع القول أن جاليتا البلدين تمتعتا بالإحترام سمح لهما بحرية التمثيل والتنقل والتملك والتصرف في الأموال في سابقة قل نظيرها. لكننا لا نملك الكثير من صور التواصل العلمي ما كان يجري بين العاصمتين، عدا ما ذكره الإباضية في كتبهم وهم يترجمون لمشايخهم الذين عاشوا في سجلماسة، ومن قبيل ذلك ما ذكره أبو زكرياء عن "أبي الربيع سليمان بن زرقون"⁴ من أن أهلها اختلفوا بعده في مسألة فكادوا يقتتلون عليها، فاتفقوا على أن يبعثوا رجلين بحملين ابن زرقون أينما كان يستقنانه...فأتي لهما الحق

¹ - محمد علي دبوز؛ المرجع السابق، ج3، ص- ص، 296-297.

² - جودت عبد الكريم يوسف؛ العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص221

³ - شهابت العيفة؛ المرجع السابق، ص- ص 173-174.

⁴ - هو إباضي من نفوسه وبها مولده ومسكنه، بلغ من العلوم مالم يبلغه الكثير، تعلم في سجلماسة. أنظر؛ أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر؛ المصدر السابق، ص 128.

فكر الرجلان راجعين حتى وصلا سجلماسة فأخبر بما أفتى فاصطلحوا بعدما كادوا يقتتلون¹.

وفي نفس السياق، ذكر الدرجيني أن رجلا من أهل الدعوة الإباضية يدعى " ابن الجمعي"²، أقبل من بلاد المشرق تاجرا فوصل سجلماسة، ولما كانت الطريق عليها تمر بتاهرت فقد كان ابن الجمعي أحد العلماء التجار الذين ربطوا سجلماسة بتاهرت برباط ثقافي، ولم يكن ابن الجمعي وحيدا في رحلته فقد كان في رفقة آخرين وهما " الربيع سليمان بن زرقون" سالف الذكر و"مخلد بن كيداد"³، وانهما تفقها على يديه في سجلماسة وهذا يؤكد دورهم ف نقل الثقافة بين المدينتين وعلى أنهم حلقة من سلسلة العلماء الذين تنقلوا بين تاهرت وسجلماسة⁴، ويذهب صاحب الإستبصار أن ابن كيداد كان المذهب الصفيري النكاري، أي يزيد احتمال أنه تأثر بالمذهب الصفيري⁵.

ومن جهة أخرى أشار أبو العرب إلى وجود أحد علماء سجلماسة في القيروان يدعى " حماد بن يحيى السجلماسي"، و وصفه بأنه كان شيخا صالحا تاجرا⁶، وقد سمع منه عامتها وعلمائها، فهل كان منهم تاهرتيون فأخذوا عنه؟

كما أن إشتغاله بالتجارة ووجوده في القيروان يعني أنه كان كثير التنقل بي ن سجلماسة والقيروان وبالتالي كان كثير المرور بتاهرت فأثر وتأثر وبالتالي ليس هناك ما يمنع أن يكون مثل هؤلاء قد فضلوا الإقامة بتاهرت خاصة وهي تحمل شهرة عالمية وتجارية واسعة وهكذا يمكن إعتباره وسيطا ثقافيا بين العواصم الثلاث تاهرت، سجلماسة والقيروان⁷.

¹ - أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر؛ المصدر السابق، ص- ص، 128-129.

² - هو

³ - الدرجيني؛ المصدر السابق، ج1، ص33. وأنظر، الشماخي؛ المصدر السابق، 279.

⁴ - جودت عبد الكريم يوسف؛ العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص223.

⁵ - مؤلف مجهول؛ الإستبصار، المصدر السابق، ص45.

⁶ - محمد بن احمد بن تميم أبو العرب؛ طبقات علماء إفريقية، دط، ج3، دار الكتاب اللبناني، د س ن، 203.

⁷ - جودت عبد الكريم يوسف؛ العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص224.

المطلب 3: العوامل المتحكمة في العلاقة بينهما

إن علاقة صفرة سجلماسة بإباضية تاهرت، إتخذت طابعا وديا مبنيا على العديد من العوامل التي حرص كل منها على مراعاتها وتحكمت بشكل مباشر وغير مباشر في سيرورة العلاقة بينهما ونجملها في ما يلي:

- إشتراكهما في نفس المذهب الخارجي¹.
- إشتراك الدولتين في عداوتهما للخلافة العباسية في وقت من الاوقات وإختلاف المذهبين تمام الإختلاف مع مذهب الخلافة.
- تجاوز الدولتين وإقامة عدد من الرعايا الرستميين بسجلماسة وعدد من الرعايا المدراريين في تاهرت².
- الظروف السياسية القاسية التي مر بها الخوارج في المغرب الإسلامي وما عانوه من ضغط وملاحقات.
- حياة البداوة بين الدولتين المدرارية والرستمية في بداياتها.
- المصالح الإقتصادية والتجارية بينهما إذ نظر الرستميون إلى سجلماسة على أنها منفذ هام لهم في بلاد السودان تنتقل من خلاله قوافلهم التجارية التي هي شريان الحياة بالنسبة لهم ومن جهتهم بنو مدرار كانوا يدركون أهمية الرستمين كسند لهم خاصة أمام الأدارسة الذين حاربوا الخوارج³.

¹ - شهاب الدين نهلة؛ تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الفكر، عمان، 2010م، ص- ص 211-212.

² - وفاء يعقوب برناوي؛ دولة بني مدرار الصفيرية بالمغرب الأقصى الإسلامي (دراسة تاريخية حضارية) - (140-347هـ/757-958م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف فواز علي بن جنيدي الدهاس، جامعة أم القرى، السعودية، 1424هـ/2003م، ص59.

³ - مجهول الكاتب؛ العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية ودول المغرب الإسلامي خلال القرن 3هـ/9م، مجلة المقتطف المصري التاريخية، عدد 5، 2010م، ص38.

من خلال دراستي لموضوع العلاقات الصفرية الإباضية بين القرنين 2 و 4 هجري،
8 و 10 م، توصلت للعديد من النقاط والاستنتاجات:

دخل المذهب الصفري و الإباضي بلاد المغرب على راحلة واحدة، و اشتركا في هدف
الدعوة للمذهب الخارجي كل على فرقته، و هدف إقامة كيان سياسي يحقق لهم حماية
مصالحهم ونشر مذهبهم ويتبين ذلك من خلال محاولاتهم المستمرة في إقامة إمارات
مستقلة، إلى ان نجحوا في ذلك وهنا يطرح لدينا تساؤل، هل كانت هاته النية في إقامة
كيان سياسي خارجي مبيتة من قبل أم لا؟

تشابهت أو تطابقت التجربة الخارجية في بلاد المغرب المتمثلة في المذهبين الصفري و
الإباضي، فمسيرتهما منذ الدخول حتى النجاح في إقامة الدولة، ثم الأفول، توضح ذلك،
فهل يا ترى يعود ذلك للظروف التي جمعتها قسرا، أم أن سياسة الخوارج في التقارب هي
التي خلقت الأسباب؟

غلب على العلاقة الود والتقارب فقد بلغت العلاقات السياسية والتجارية والاقتصادية
والدينية أتمها على عهد الدولتين زمان تتويجها بمصاهرة سياسية أنمت عن نظرة
إستراتيجية ثابتة من قبل طرفيها الرستمي والمدراري، انعكس ذلك بازدهار وتطور كبير
للعاصمتين تاهرت وسجلماسة.

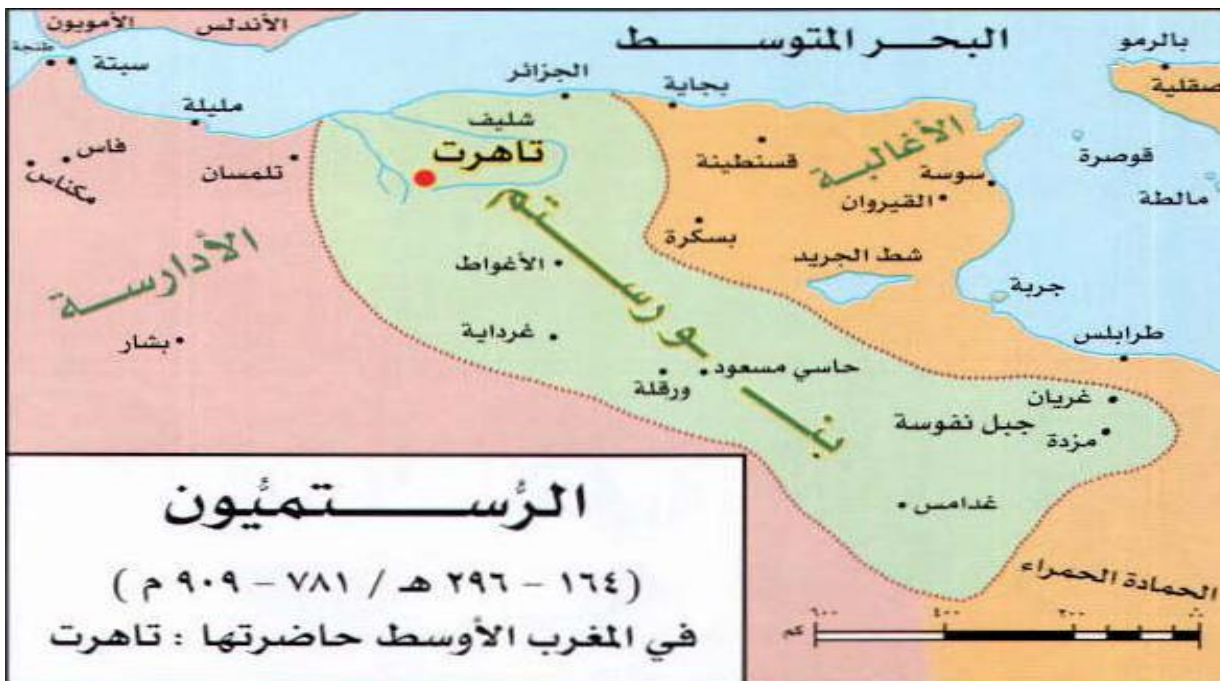
لم تخلو العلاقة من شوائب ومناكفات وصراع في أحيان عدّة، فالتصادم الإباضي
الصفري بالقيروان، كان أكبرها وأكثرها انحدارا في مستوى العلاقات بين المذهبين.
ما كانت العاصمتين تاهرت و سجلماسة، لتتمكننا من النجاح في إقامة علاقة مميزة يغلب
عليها الود والوفاق، لولا رغبة الأمراء والحكام في الاستجابة لآمال مجتمعاتهم في عدم
جدوى الخصومات المذهبية، تلك الخصومات التي كانت يوما ما سببا في التدهور الحاد

لأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، والأرجح أن نفس السبب منع نشوب الحروب بين الدولتين، فأستتب الأمن وازدهرت البلاد والتجارة والحركة العلمية والعمرانية وغيرها الكثير. ينتهي بنا القول إلى أن المذهبين الصفري و الإباضي كانا السباقين في إقامة دولتين كانتا من أولى الدول الخارجة عن حياض الخلافة العباسية، نجحتا في تكوين علاقات واسعة بينهما، انعكست تلك العلاقات بالفوائد على العديد من الأطراف والمجالات.

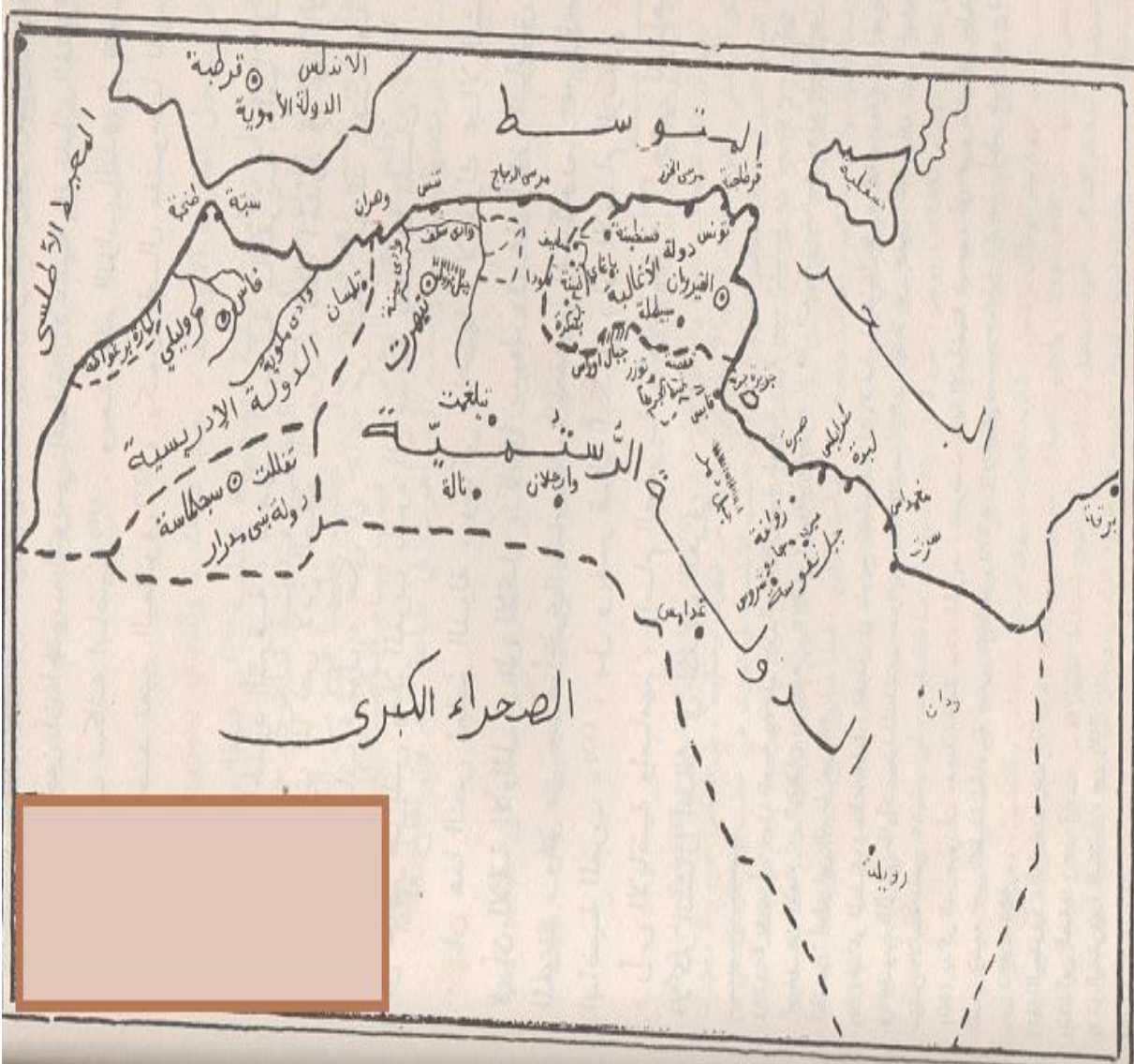
خريطة أ



خريطة ب



المصدر: شوقي أبو خليل؛ أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق، 2003، ص - ص 50-51.



خريطة توضح حدود الدولة الرستمية والمغربية في القرن الثالث هجري

المصدر: إبراهيم بجاز؛ المرجع السابق، ص 106.



خريطة توضح الطريق التجاري الرابط بين تاهرت وسجلماسة

المصدر: إبراهيم بحاز؛ المرجع السابق، ص209.

- صحیح البخاري: المجلد 8.

- صحیح مسلم؛ المجلد 1.

المصادر:

- ابن أبي زرع الفاسي؛ الأنيس المطرب روض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دط، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- ابن الصغیر؛ أخبار الأئمة الرستميین، تح وتغ محمد ناصر ابراهيم بحاز، د ط، دار الغرب الإسلامي، د م ن، د س ن .

- ابن ثغری بردي؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1.

- ابن حزم الظاهري؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تح محمد إبراهيم نصر و عبدالرحمن عميرة، ط2، ج 5، دار الجيل بيروت، 1416 هـ/1996 م.

- ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تح، س ج كولان وليفي بروفنسال، ط3، ج1، دار الثقافة، بيروت ، 1983م.

- أبو إسحاق إبراهيم بم محمد الفاسي؛ المسالك والممالك، دط، دار صادر، بيروت، 2004م.

- أبو الحسن أحمد بن جابر البلاذري؛ فتوح البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

- أبو الحسن الأشعري؛ مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين، محمد محي الدين عبد الحميد، ط 1، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1411 هـ /1990 م.

- أبو الحسن بن علي المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجواهر، مر كمال حسن علي، ط1، ج2، المكتبة العصرية بيروت، 1424هـ/2005م.

- أبو العباس احمد بن أبي عثمان سعيد الشماخي؛ السير، در وتغ، محمد حسن، ط1، ج1، دار المدار الإسلامي، 2009.

- أبو العباس احمد بن سعيد الدرجيني؛ طبقات المشائخ بالمغرب، ط1، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009.
- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد حماد الناصري الدرعي السيلوي، الإستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، دط، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007.
- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني؛ الملل والنحل، تح أمير علي مهنا وعلي مجن فاعور، ط3، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م.
- ابو القاسم بن حوقل النصيبي؛ صورة الأرض، دط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م.
- أبو القاسم بن حوقل النصيبي؛ المسالك والممالك، د ط، مطبعة بريل، لندن، 1873م.
- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر؛ سير الأئمة وأخبارهم، تر وتعل إسمايل العربي، د ط، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م/1399هـ.
- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايمار الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترتيب حسان عبد المنان، دط، بيت الأفكار العلمية، 2004م.
- أبو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن غازي المكناسي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، دط، مطبعة الأمنية، الرباط، 1371هـ/1952م.
- أبو عبيدة البكري؛ المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د س ن.
- أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، تق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م.
- أبو مظفر الاسفراييني؛ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، تح كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م.

- أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي؛ رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية وزهادهم ونسآكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تر بشير البكوش ومرآ، محمد العروسي المطوي، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1994م.
- أبي سعيد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني؛ الأنساب، ط1، ج3، د ب ن، 1998م.
- أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، دطن ج7، طبع في ليدن مطبعة بريل، 1897م.
- الأعلام، ط15، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002.
- الحافظ أبو نعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1416هـ//1996م.
- الرقيق القيرواني؛ تاريخ إفريقية والمغرب، تق وتحت محمد زينهم ومحمد عزب، ط1، دار الفرآاني للنشر والتوزيع، د ب ن، 1414هـ /1994م.
- الشريف الإدريسي؛ صفة المغرب (المغرب وارض السودان ومصر والاندلس)، دط، مطبعة بريل، ليدن، 1893م.
- القاضي النعمان؛ إفتتاح الدعوة، تح فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، د س ن.
- تقى الدين احمد بن علي المقريري؛ إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح جمال الدين الشيال، ط2، ج1، القاهرة، 1416هـ/1996م.
- سرحان بن سعيد الأزكوي؛ كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تح محمد حبيب صالح ومحمود بن مبارك السليمي، ط 2، ج 2، وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان، 1434 هـ/2013م.
- شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت بن عبد الله الحموي؛ معجم البلدان، د ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

- صفي الدين عبد المؤمن البغدادي؛ مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح علي محمد البجاوي، ط1، ج1، دار الجيل، بيروت، 1992م.
- عبد الرحمن بن خلدون؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر سهيل زكار، د ط، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م.
- عبد الله الباروني؛ الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، د ط، ج2، مطبعة الأزهار البارونية، د م ن، د س ن.
- عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكريم ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، مر و تص محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م، ج4.
- علاء الدين مغلطاي ابن قليج بن عبد الله البكري الحنفي، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت حابي عبد الرحمن عادل بن محمد وابن محمد اسامة بن ابراهيم، ط1، ج9، الفاروق الحديث للنشر، القاهرة، 2001م.
- علي محمد الصلابي؛ الدولة الفاطمية، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.
- لسان الدين ابن الخطيب؛ تاريخ المغرب في العصر الوسيط، تح وتغ أحمد مختار العبادي ومحمد الكتاني، دط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.
- محمد بن احمد المقدسي؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م1987.
- محمد بن احمد بن تميم أبو العرب؛ طبقات علماء إفريقية، دط، ج3، دار الكتاب اللبناني، د س ن.
- محمد بن رمضان شاوش؛ الدرّ الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ط1، المطبعة العلوية بمستغانم، الجزائر، 1385هـ/1966م.

- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي؛ أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، ط1، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي، مصر، 1357هـ/1938م.

المراجع:

- الحبيب الجحاني؛ المجتمع العربي الإسلامي(الحياة الإقتصادية والإجتماعية)، دط، مطابع السياسة ، الكويت، 2005م.
- إبراهيم العدوي؛ بلاد الجزائر، تكوينها الإسلامي والعربي، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970م.
- ابراهيم بحاز؛ الدولة الرستمية(دراسة في الاوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية)، ط1، مطبعة لاقوميك، الجزائر، دس ن.
- أبو يعقوب يوسف إبراهيم الوجداني؛ الدليل والبرهان، تحقيق سالم بن حمد الحارثي، ط 2، ج2، وزارة الثقافة والتراث، سلطنة عمان، 1428هـ/2006م.
- أبو يعقوب يوسف إبراهيم الوجداني؛ العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه و الاختلاف ، دط ، ج 2، وزارة الثقافة والتراث القومي، سلطنة عمان، 1428هـ /1984.
- احمد النائب الانصاري، المنهل المعذب في تاريخ طرابلس الغرب، دط، د د ن، د س ن، ليبيا.
- أحمد محمد جلي؛ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعه)، ط 1، شركة الطباعة العربية السعودية ، 1406 هـ/1986 م.
- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، دط، ج2، دار النهضة العربية بيروت، 1981م.
- السيد عبد العزيز سالم؛ تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، دط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د س ن.

- ألفرد بل؛ الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
- المنصف قوجة؛ تاريخ الإباضية الديني والسياسي (من القرن الأول الى القرن السادس هجري)، ط1، الدار التونسية للكتاب، 2014.
- بحاز و آخرون؛ معجم أعلام الإباضية، ط2، ج 2، دار الغرب الاسلامي، لبنان 2000م.
- بكير بن سعيد أوعشت؛ دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، ط3، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1408هـ/1980م.
- بوزياني الدرّاجي؛ دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دط، دار الكتاب العربي، الجزائر، د س ن.
- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- جودت عبد الكريم يوسف؛ الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10هـ)، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س ن.
- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر مصطفى أبو ضيف احمد، دط، منشأة المعارف الإسكندرية، 1999م.
- حسن حمودة؛ قيام دولة المرابطين، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، د س ن.
- حسن صادق؛ جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى اغتيال السادات، ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2004م.
- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط3، دار الرشاد، القاهرة، 2005م.

- رابح بونار ؛ المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط 3، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د س م.
- زامبور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر زكي محمد حسن بك وحسن احمد محمود، دط، دار الرائد العربي بيروت، 1400هـ/1980م.
- زكرياء بن خليفة المحرمي؛ الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ، د ط، د د ن، د س ن.
- شهاب الدين نهلة؛ تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الفكر، عمان، 2010م.
- عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية؛ جم وتح أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، تق و مر حمادي الساحلي، ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1410هـ/1990م.
- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- عز الدين ماضي أبو عزام، الإسلام الصوفية هو الحل لإسلام الخوارج، ط1، دار الكتاب الصوفي، د ب ن، 1993م.
- علي حسني الخربوطلي؛ أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، دط، د د ن، د ب ن، 1972م.
- عوض خليفات؛ نشأة الحركة الإباضية، د ط، مطابع دار الشعب، الاردن عمان، 1978م.
- عوض محمد خليفات؛ الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط 3، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1415هـ، 1994 م.
- لطيفة بكاي؛ حركة الخوارج نشأتها وتطورها الى نهاية العهد الأموي (37 م -132 هـ)، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2001.
- مبارك الميلي؛ تاريخ الجزائر الحديث والقديم، د ط، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976 م،

- محمد ابراهيم الفيومي؛ تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني (الخوارج والمرجئة)، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003م.
- محمد أبو زهرة؛ تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دط، دار الفكر العربي القاهرة، د س ن.
- محمد زنيير؛ المغرب في العصر الوسيط، الدولة - المدينة - الاقتصاد، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999م.
- محمد صالح ناصر؛ منهج الدعوة الإباضية، د ط، مكتبة الاستقامة، عمان 1997.
- محمد صالح ناصر؛ منهج الدعوة عند الإباضية، د ط، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عمان 1418هـ/1997م.
- محمد علي دبوز؛ تاريخ المغرب الكبير، د ط، ج 2، مؤسسة توالث الثقافية، د ب ن، 2010م.
- محمد عيسى الحريري؛ الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقته الخارجية بالمغرب والاندلس (160هـ - 296 هـ)، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت، 1408هـ/1987م.
- محمود إسماعيل عبد الرزاق؛ الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م.
- محمود إسماعيل عبد الرزاق؛ الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، ط2، دار الثقافة، المغرب، 1985م.
- مصطفى الشكعة؛ إسلام بلا مذاهب، ط 11، الدار المصرية اللبنانية، 1416 هـ / 1996م.
- موسى لقبال: المغرب الإسلامي، دط، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

- مؤلف مجهول؛ السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، تح ونشر سيدة إسماعيل كاشف، دط، ج 2، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، 1406 هـ/1986م.
- مؤلف مجهول؛ مفاخر البربر، در وتح عبد القادر بوباية، ط1، دار ابي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م.
- يوسف على بدوي، عصر الدويلات الإسلامية، ط1، دار الأصالة، الجزائر، 2010م.
- يوليوس فيلهوزن؛ أحزاب المعارضه السياسية والدينية في صدر الإسلام {الخارج والشيعة}، تر، عبد الرحمن بدوي، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958م.

المذكرات و الأطروحات:

- أروهان آتش؛ الإباضية من مصادرها بحث في النشأة والمفاهيم والعلاقات والواقع اليوم، تر سعيد الحاج، نقد محمد بابا علي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المذاهب، اشرف توفيق يوجد وغرو، جامعة أولوداغ، ط1، مطبوعة "كتابك"، 1435هـ/2014م.
- شنابت العيفة؛ دولة بني مدرار سجل ماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاريين القرنين الثاني والرابع هجريين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف موسى لقبال، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1410.1411هـ/1990-1991م.
- عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية (من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف بن اطفيش)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة الإسلامية، إشراف أبو عمران الشيخ، جامعة الجزائر، معهد الفلسفة، 1407 هـ/1987م.
- فطيمة مطهري؛ مدينة تيهرت الرستمية (دراسة تاريخية حضارية) القرن 2 - 3 هـ / 8-9 م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، اشرف معروف

بلحاج، جامعة ابوبكر بلقايد تلمسان، قسم التاريخ والآثار 1430-1431 هـ / 2009-2010 م.

- مبارك بوطارن، تطور العمران الإسلامي مدينتا القيروان وسجل ماسة نموذجاً لدراسة تاريخية عمرانية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورا دولة في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قرية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2006.

- وفاء يعقوب برناوي؛ دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي (دراسة تاريخية حضارية) - (140-347 هـ / 757-958 م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف فواز علي بن جنيدي الدهاس، جامعة أم القرى، السعودية، 1424 هـ / 2003 م.

الموسوعات والأطالس:

- شوقي أبو خليل؛ أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق، 2003 م.
- عبد المنعم حنفي؛ موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1413 هـ / 1993 م.

المقالات والمجلات:

- خالد أحمد صالح؛ الإباضية تعاليمهم وانتشارهم في المغرب العربي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم السياسية، العدد الأول، 2011 م.
- مجهول الكاتب؛ العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية ودول المغرب الإسلامي خلال القرن 3 هـ / 9 م، مجلة المقتطف المصري التاريخية، عدد 5، 2010 م.

الصفحة	الموضوع
	شكر وعران
	خطة البحث
	قائمة المختصرات
أ	مقدمة
الفصل التمهيدي: الصفرية والإباضية مذهباً ودولة	
01	المبحث الأول: التعريف بالمذهب الصفري والإباضي
01	المطلب 1: التعريف بالمذهب الصفري
05	المطلب 2: التعريف بالمذهب الإباضي
09	المبحث الثاني: التعريف بالدولتين المدراية والرستمية
09	المطلب 1: التعريف بالدولة المدراية
11	المطلب 2: التعريف بالدولة الرستمية
الفصل الأول: علاقات المذهبين زمن فترة الدعوة	
17	المبحث الأول: دخول المذهبين معا بلاد المغرب والأسباب المشتركة لذلك
17	المطلب 1: الأسباب المشتركة لتوجه الخوارج لبلاد المغرب
19	المطلب 2: دخول المذهبين بلاد المغرب معا وانتشارهما
22	المبحث الثاني: الصفرية - الإباضية توافق وتعارض
22	المطلب 1: نظرة الإباضية للصفرية
25	المطلب 2: الصراع الإباضي - الصفري في القيروان
29	المطلب 3: التقارب الإباضي - الصفري
الفصل الثاني: علاقات الدولتين الصفرية والإباضية	
37	المبحث الأول: العلاقات السياسية

37	المطلب 1: مواقف سياسية بين تاهرت وسجلماسة
42	المطلب 2: الزواج السياسي بين العاصمتين أسبابه وتداعياته
48	المبحث الثاني: العلاقات التجارية والاقتصادية
48	المطلب 1: الطرق الرابطة بين العاصمتين الصفرية والإباضية
51	المطلب 2: المنتجات والحركة التجارية
54	المبحث الثالث: علاقات اجتماعية وثقافية ودينية
54	المطلب 1: تأثير علاقتهما على الوضع الاجتماعي
57	المطلب 2: علاقات ثقافية ودينية
63	المطلب 3: العوامل المتحكمة في العلاقة بينهما
65	خاتمة
68	ملاحق
72	قائمة المصادر والمراجع
85	فهرس المحتويات